

كيف ظلم الملك وليم الانكليز بالضرائب

وفي السنة نفسها، كان وليم ملك الانكليز، الملقب روفوس Rufus في نورماندي، مشغول تماماً في مشاريع حربية، في حين لم تكتف مكوسه في انكلترا بتجريد الناس، بل بالفعل جردتهم وكشطتهم تماماً، ولذلك كان مكروها من قبل جميع الناس، ومات في الوقت نفسه وولكلارين Walkeline أسقف وينكستر، وهيوج شرويشاير Shropshire مات مقتولاً من قبل الايرلنديين، وقد خلفه أخوه روبرت دي بلسمي Be-lesme

كيف استعد الأمراء لمتابعة زحفهم بسبب تدمير الشعب

سنة ١٠٩٩م، احتفل أمراء الغرب والحجاج بشكل مهيب، بميلاد ربنا في المعرة، ووقتها نشب خلاف بين بوهيموند، وكونت أوف طولوز، لكن بما أن ذلك لاعلاقة كبيرة له بموضوعنا الحالي، دعونا نعبر إلى القضايا الأخرى، فنبين كيف أن الشعب قد غضب بسبب أن الأمراء عملوا تأخيراً غير ضروري، واختلفوا فيما بينهم حول كل مدينة جرى الاستيلاء عليها، مهملين في الوقت نفسه — كما وضع — العمل الأساسي للحملة، ولكي يرضي الناس، قام كونت طولوز فأخذ معه عشرة آلاف رجل مسلح مع ثلاثمائة وخمسين فارساً، وانطلق نحو القدس، وتبعه في الوقت نفسه روبرت دوق نورماندي وتانكرد مع ثمانين فارساً وعدداً كبيراً من الرجالة، وبعد عدة أيام، عندما عبروا المنطقة المعترضة، نزلوا إلى سهل حول مدينة اسمها عرقة، لم تكن بعيدة عن ساحل البحر، ونصبوا مخيمهم على مقربة منها، وكانت هذه إحدى المدن الفينيقية عند سفح جبل لبنان، وقد تأسست — وفقاً للمأثور من الروايات القديمة — من قبل عرقوس، الذي كان الابن السابع لكنعان، ومن بعده تصحف الاسم فصار عرقة.

وحاصرها الصليبيون لوقت طويل، لكن من دون نجاح، وهنا أثرت مجدداً القضية المتعلقة بالحربة التي طعن بها جنب ربنا، فقد قال بعضهم بأنها ظهرت بعدما جرى الارشاد إليها بإلهام رباني، وكان ذلك من أجل مواسة الجيش، في حين رفض آخرون ذلك باستخفاف وقالوا بأن المسألة كانت خطة مدبرة من قبل كونت طولوز، ولم يكن هناك اكتشاف، بل مجرد اختراع للربح، وبناء عليه أشعلت نار كبيرة جداً، كانت بحجمها كافية لإخافة حتى الواقفين إلى جوارها، وعندما اجتمع الناس مع بعضهم في اليوم السادس من الاسبوع قبل انتقال ربنا، قام الكاهن بطرس— الذي إليه عمل اكتشاف الحربة— بالدخول بالمحنة المرعبة، فبعدها قام بالصلاة، أخذ الحربة، واجتاز، دون أن يتعرض للأذى، خلال وسط النار، لكن بما أنه مات بعد ذلك بعدة أيام فإن المحنة لم تعط قناعة كاملة للحزب المعارض.

وفي حوالي هذا الوقت استعد الدوق غودفري والقادة الآخرون، الذين بقيوا في أنطاكية، لمتابعة الزحف، وجاء ذلك بناء على طلب مستعجل من الجيش، ووصل في اليوم الأول من آذار إلى اللاذقية في سورية، مع خمسة وعشرين ألفاً من الجنود الشجعان، وكانت هذه المدينة مقطونة من قبل المسيحيين، وقد طلب غودفري من متوليها اطلاق سراح غونمير أوف بولون Guenemer of Boulogne، الذي كان معتقلاً هناك في سجن، ولم تتجرأ السلطات على المقاومة، وأطلقت سراحه مع جميع رفاقه ومع اسطوله كله، لأن غونمير كان بعدما حمل الصليب، قد رسا هناك مع اسطول قوي، غير أنه فوجيء من قبل السكان، وألقي به في السجن، ووضع الدوق ثانية على رأس اسطوله، وأسره بمتابعة السير خلف الجيش على طول الساحل.

كيف عبر الأمراء خلال كثير من المناطق ووصلوا إلى طرابلس
وساير الأمراء الآن ساحل البحر حتى مدينة جبلة، التي تبعد حوالي

اثنى عشر ميلاً عن اللاذقية، ونصب الجيش خيمه حول المدينة، وقد حاصروها لبعض الوقت، عندما عرض واليها الذي كان وكيلاً لسُلطان مصر، على الدوق دفع ستة آلاف قطعة ذهبية، وهدايا أخرى إذا ماتخلى عن الحصار، لكنه عندما لم يستطع الحصول على هذا المطلب، أرسل رسلاً عرض بوساطتهم المبلغ نفسه على كونت طولوز، إذا ما استطاع انقاذ المدينة من السقوط بيدي الدوق، وأخذ الكونت المال، وبعث أسقف البارة إلى الدوق يحثه على ترك الحصار، والقدوم إليه بكل سرعة، لأنه سمع بأن حشداً كبيراً من الأعداء قادماً من فارس للانتقام للخسائر التي عانوا منها عند أنطاكية تحت قيادة كربوغا، وأن هذا قد تأكد لديه من مصادر معلومات وثيقة يمكن الاعتماد عليها، وصدّق الدوق مع الأمراء الآخرين ما أخبروا به، وتخلّوا عن الحصار، فمروا بمدينة بانياس، على يسار المرقب، والتي هي أول مدن فينيقيا، ووصلوا إلى طرطوس، وتابعوا زحفهم من هناك، ونصبوا مخيمهم قرب مدينة عرقة، واجتمعوا هنا مع تانكرد الذي أباح لهم خبر خدعة كونت طولوز، ونتيجة لذلك عزلوا خيامهم عن خيامه، ولم يعسكروا على الأرض نفسها معه، ورأى الكونت الغضب الذي تسبب بالشعور به من قبل الأمراء نحوه، فأرسل إليهم هدايا وتصالح معهم، وجذبهم إليه باستثناء تانكرد.

وعندما ترك الأمراء حصار عرقة، أوكلوه إلى أسقف البارة مع بعض الآخرين، ووجهوا زحفهم نحو طرابلس، فوجدوا هناك حاكم المكان وجميع سكان المدينة قد تعبأوا واصطفوا للقتال، وقد انزعجوا تجاه هذا العرض، فهاجموهم بحنق وشدة، وحطموا صفوفهم من الحملة الأولى، وطردهم وأعادوهم إلى داخل المدينة، بعدما قتلوا سبعمائة منهم، واحتفل الأمراء بعيد الفصح أمام طرابلس، ولدى مشاهدة حاكم المدينة واقع الحال وإدراكه أنه غير قادر على مواجهة رجالنا في الميدان أرسل

سفارة، وحصل على شروط اتفاق من الأمراء أنهم سوف يمرون من خلال أراضيه دون إلحاق أي أذى بها، شريطة أن يعطيهم خمسة عشر ألف قطعة من الذهب مع خيول، وبغال، وملابس حريرية، وآنية ثمينة، ومواشي وأغنام، وعندها سايرت عساكرنا ساحل البحر، وكان على يمينها جروف جبل لبنان، وقد عبرت جبيل، وعسكرت قرب البحر في مكان اسمه جونوية، وبعد ذلك توقفوا لمدة ثلاثة أيام أمام بيروت، وفي اليوم التالي وصلوا إلى صيدا، واجتازوا في اليوم الذي تلاه الصرند حيث كان النبي إيليا قد نشأ، ثم وصلوا إلى مدينة صور العاصمة، وزحفوا من هناك إلى عكا، تاركين الجليل على اليسار، بين الكرمل والبحر، ومن هناك إلى قيسارية التي هي حاضرة فلسطين، والتي تدعى أيضاً باسم برج ستراتو، وعبر بعض الأمراء من خلال قلعة بيت أولاء، ووصلوا إلى مدينة باروخ، وكان ذلك في يوم صعود ربنا، ثم مروا من خلال الزيب إلى دورا ثم إلى حيفا، حيث التقوا جميعاً في قيسارية، واحتفلوا بعيد العنصرة يوم الثامن والعشرين من حزيران.

تخريب كنيسة القديس جرجس الشهيد من قبل الأتراك

وبعد التوقف هناك لمدة أيام، استأنفوا زحفهم وتابعوه، تاركين على يمينهم المناطق البحرية لأرسوف ويافا، وعبروا من خلال اليازورية ووصلوا إلى اللد، التي تعرف أيضاً باسم هليوبولس، حيث يوجد قبر الشهيد المشهور القديس جرجس، وكانت كنيسته قد تعرضت للتخريب من قبل أعداء الإيمان، قبل وصول الحجاج، لأنهم خافوا أن يستخدم الجيش عوارض السقف، التي كانت طويلة جداً، من أجل تشييد آلات لقتال المدينة بها، وانطلق من هناك روبرت كونت فلاندرز يؤم الرملة، حيث وجد الأبواب مفتوحة فدخل مع أتباعه إلى المدينة، لكنهم لم يجدوا أحداً فيها، لأن الأتراك عندما سمعوا بزحف عساكرنا، أنقذوا أنفسهم بالمغادرة في الليلة المتقدمة، ووصل في اليوم التالي بعض من

القادة الآخرين، فوجدوا هناك كميات وافرة من الخمرة، والزيت، والحبوب، وقد وقفوا هناك لمدة ثلاثة أيام، عملوا خلالها رجلاً اسمه روبرت النورماندي أسقفاً لتلك المدينة وعينوا له أسقفية دائمة تضم الرملة واللد مع المناطق المحيطة بهما.

ثم تابعت قواتنا زحفها من هناك إلى نيقوبوليس، وهي مدينة فلسطينية، كانت تعرف من قبل عندما كانت قرية، باسم عمواس، ومن المعروف أن المسيح سار هنا، بعد قيامته مع كليوفاس، ويوجد أمام المدينة نبع ماء عذب، يغتسل به الناس المرضى والمواشي لتنقية أنفسهم من مختلف العلل، لأنه يحكى بأن المسيح عندما مرّ مرة بهذا النبع قد قام بغسل قدميه به، وبذلك حصل الماء على القدرة على شفاء مختلف الأمراض.

كيف حصن الترك المدينة المقدسة وسلبوا المسيحيين

وفي الوقت نفسه، علم الترك الذين سكنوا في القدس، باقتراب الحجاج، فقاموا بتحسين المدينة بكل نشاط، وسلبوا المؤمنين الذين وجدوهم فيها من جميع أموالهم التي امتلكوها، وبدأوا بذلك بالبطريك، الذي كان رأس المدينة، وجمعوا من بقية الناس خمسة عشر ألف قطعة من الذهب، وبعد عملية السلب هذه طردوا جميع المسيحيين من المدينة، باستثناء الضعفاء، والنساء والأطفال، وفي الوقت نفسه رأى الصليبيون أن التأخر خطر، لذلك قاموا عند فجر اليوم بمتابعة رحلتهم مع خشوع في القلب، وعندما اقتربوا من مشاهدة مدينة القدس المقدسة، أرسلوا الأهات مع دموع الفرح، وخلعوا أحذيتهم وتابعوا زحفهم بأقدام حافية، وتابعوا على هذا الشكل حتى صاروا في مواجهة المدينة، وشرعوا في حصارها يوم السادس من حزيران.

ولقد قيل بأن تعداد الجيش المحاصر بلغ حوالي الأربعين ألفاً من

الرجالة، مع ألف وخمسمائة من الفرسان، وذلك إلى جانب الشيوخ والمرضى، والرعاى من الآخرين، الذين كانوا لا يحملون سلاحاً، ولقد قيل بأنه كان في المدينة أربعين ألفاً من الترك المسلحين بشكل جيد، الذين كانوا قد تقاطروا عليها للدفاع عن المدينة الملكية، ولتأمين سلامتهم أيضاً، وأدرك الأمراء أنهم لن يفلحوا في الحصار من الجهات الشرقية، والغربية والجنوبية من المدينة، بسبب وجود الوديان العميقة، ولذلك قرروا حصارها من جهة الشمال، ولهذا الغاية نصبوا خيامهم بين الباب المعروف باسم باب اسطفان، وبرج داوود، وكان في الصف الأول غودفري، وتلاه روبرت كونت نورماندي، وكونت فلاندرز، وتمركز اللورد تانكرد مع بعض آخرين كانوا معه حول برج عرف بسبب قربه من احدى زوايا السور، باسم برج الزاوية، وتولى كونت طولوز مع عساكره إلقاء الحصار على الأسوار ما بين برج آخر والباب الغربي، وجرت مركزة جزء من قواته باتجاه الشمال، على الجبل الذي عليه بنيت المدينة، وذلك بين المدينة نفسها وبين الكنيسة التي تعرف باسم كنيسة صهيون، التي هي على بعد حوالي رمية سهم عن الأسوار، وهذا هو المكان الذي يقال بأن مخلصنا تعشى فيه مع تلاميذه، وغسل فيه أقدامهم، ويقال أيضاً بأن هناك كذلك نزل الروح القدس على التلاميذ على شكل لسان ناري، وهناك دفعت أم الرب دين الطبيعة، وقبر القديس إسطفان، أول الشهداء موجود هناك ويحظى باحترام حتى هذا اليوم.

أول حملة شديدة على المدينة

وعندما اكتمل نصب المعسكر على شكل دائرة حول المدينة، وذلك في اليوم الخامس عشر بعد وصولهم، جرى استدعاء الجميع بصوت البوق للقيام بحملة عامة على الأسوار، وبعدهما وضع الجميع سوابغهم ودروعهم على أجسامهم ولبسوها، تقاطروا جميعاً من العالي والداني على

مهاجمة الأسوار، وقد حملوا بشجاعة وإقدام، حيث تمكنوا من هزيمة الحامية المدافعة عن المدينة، وخرقوا الدفاعات الخارجية، وانهمز المدافعون إلى داخل المدينة في خوف شديد، ولو كان لدى الصليبيين آلات رمي، وسلام تدعم حماسهم، لكان من المؤكد استيلائهم على المدينة في ذلك اليوم، لكن عندما رأوا بعد قتال استمر لمدة سبع ساعات أن جهودهم كانت بلا محصلات، لأنهم كانوا بلا آلات، قاموا بتأجيل الهجوم لوقت آخر، وبعد تعب شديد حصلوا على الخشب، وأخذوا يصممون صنع آلات، وعندما صارت مواد آلاتهم جاهزة، جروها بعد تعب شديد وجهد عظيم إلى قرب الأسوار، وعملوا منها أبراجاً، ومجانيق، وعرادات، وكباش، مع آلات للغم الأسوار، لأنهم قدروا أن كل ما بذلوه من قبل هو لاشيء، إذا ما أحققوا في الاستيلاء على المدينة، الذي هو الهدف الأساسي لحجهم المتعب، ولذلك عمل جيشنا بشكل مواظب لصنع الآلات، والأسيجة المتحركة، والسلم، التي بها طال الحصار، وبما أن المنطقة التي هي قرب الأسوار جافة وبلا مياه، فقد أرغموا على استخدام الجداول، والينابيع، والآبار، الواقعة على مسافة خمسة أميال أو ستة عن المدينة، ولذلك تحمل الناس وقاسوا من العطش الشديد.

وكان الأتراك أيضاً عندما سمعوا بأن الصليبيين قادمين، ملأوا أكبر عدد من الآبار بالرمال وبأشياء أخرى، لمضايقة المحاصرين، وحطموا جميع البرك والصهاريج الأخرى، حتى لا يمكنهم احتواء الماء، أو أنهم أخفوا بعضهم، حتى لا يتمكن العساكر العطشى من الاستفادة منهم، ولذلك أجبروا على التفرق في مختلف الجهات للحصول على الماء، وكانت إذا ذهبت فئة صغيرة منهم ووجدت بعد كل صعوبة جدولاً، قبل أن يجده سواهم، كانت تأتي فئة أكبر إلى المكان نفسه، وكان أحياناً يحدث قتال بينهم، وماتت أيضاً خيولهم، وبغالهم، وحيرهم،

ومواشيهم، وقطعانهم بسبب العطش، ثم إن جثثهم تعفنت وسببت روائح كريهة لا يمكن تحملها وكان ذلك بسبب الحرارة، ولذلك فسد الهواء.

ووصل في الوقت نفسه رسول تحدث بأن اسطولاً جنوبياً قد وصل إلى يافا، وهو يطلب من الأمراء مرافقة تتولى قيادهم إلى المعسكر، ووقع اختيار كونت طولوز للقيام بهذه المهمة على واحد اسمه غولدمار Galdemar، وكان فارساً شجاعاً، وعين معه ثلاثين فارساً وخمسةائة من الرجال، وإليهم أضيف لمزيد من الضمان ريموند بايلت، ووليم سابران Sabran مع خمسةائة من الفرسان، وقد وصلوا إلى المنطقة ما بين مدينتي اللد والرملة، حيث اصطدموا هناك مع ستمائة من الأتراك، وحدث اشتباك قتل فيه أربعة من فرساننا وعدد من العساكر الرجالة، لكن في النهاية انتصرت قواتنا، وتم قتل مائتين من الأتراك، أما الباقي فأرغموا على الفرار، وسقط — على كل حال — هناك من جانبنا اثنان من رجالنا هما غيلبرت دي تريفيا Gilbert de treva، وأيكارد دي مونت ميرلا Aicard de Monte Merla، ووصل البقية إلى يافا سالمين، وبذلك جرت مرافقة القادمين إلى القدس بسلام، حيث جرى استقبالهم بسرور، وكانوا ذوي فائدة عظيمة للجيش الصليبي.

اكتمال صنع الآلات ومهاجمة المدينة مجدداً

ومع نهاية الشهر اكتملت الآلات، وأعطى الأساقفة مع شيوخ الجيش أوامر للقيام بمصالحة عامة بين الجنود، مع صيام، ومسيرات، وصلوات للرب، وجرى تنفيذ هذا كله بنظام، وفي يوم محدد اجتمع حشد الحجاج كله وهو حامل للسلاح، وهم جميعاً مجمعون على هدف واحد: إما أن يقدموا حيواتهم في سبيل المسيح، أو أن يستردوا المدينة ويعيدوها إلى الحرية المسيحية، وزحفوا إثر ذلك جميعاً نحو الأسوار، وبذلوا جهودهم لإحضار الآلات ومركزتها، حتى يمكنهم محاربة

الأتراك بشكل أفضل، وكان هؤلاء يقاتلون من الأبراج وكذلك من وراء شرافات الأسوار، هذا وقاوم العدو بشجاعة، ورموا علينا مع أصوات مرتفعة الحراب، والسهام، والحجارة من آلاتهم، وقام في ذلك الوقت رجالنا، وقد تستروا بترستهم وبالحواجز المتنقلة، بالرماية على الأتراك بالقسي الطويلة، وبالقسي العقارة، ورموا كميات كثيفة من الحجارة، وزحفوا أقرب فأقرب من الأسوار، ولم يمنحوا الجنود الذين كانوا على الأسوار أية فرصة للاستراحة.

وقام آخرون من جنودنا فمركزوا الآلات والأبراج، وقذفوا بحجارة كبيرة من المجانيق والعرادات على الأسوار، فقد كان هدفهم خلخلة هذه الأسوار وتسبب سقوطها، في حين قذف آخرون بحجارة أخف من آلات أصغر، وسددوا رمياتهم ضد الذين كانوا فوق الأسوار، وبهذه الطريقة صرفوا أنظارهم عن رجالنا الذين كانوا يزحفون للأسفل، ومع ذلك تقدم هؤلاء قليلاً، لأن الأتراك الذين كانوا في الداخل دلووا فوق الأسوار أكياساً من القش، وزرابي، وعوارض خشبية، وفرشاً مليئة بقطع القماش، وقد أخذت نعومة هذه الأشياء قوة القذف، وبددت تعب رجالنا وجهودهم، يضاف إلى هذا أن الحجارة والنشاب الذين رموهم من آلاتهم، سببوا توقف رجالنا أثناء القتال، وهم يحاولون طم الخندق بالتراب، والحجارة، ونشارة الخشب، والفضلات، وذلك بغية أن يكون أسهل بالنسبة لهم الوصول إلى الأسوار، وقام المحاصرون، من جهة أخرى، حتى يجبطوا جهود رجالنا، بإلقاء قطع محترقة، وأسهماً مشتعلة بعدما جرى تغطيسها بالزيت والكبريت، وذلك بهدف اشعال النار— إذا أمكن— في آلتنا، وفي مواجهة هذه المقذوفات، قام قادتنا برمي الرمال وبصب المياه من الأعلى، وبذلك أطفأوا النيران، وتمت الحملة من ثلاثة أماكن في وقت واحد، وتولاها: الدوق غودفري، وروبرت دوق نورماندي، وكونت

طولوز، واستمرت هذه الحملة طوال النهار، من الصباح حتى الليل، وأخيراً تولى الظلام الفصل بين المتصارعين.

الحملة الثالثة والاستيلاء على المدينة

استأنف الجيش كله في الصباح الباكر القتال بخفة ورشاقة، وعاد كل رجل إلى المركز الذي كان معيناً له في اليوم المتقدم، فقد رمى بعضهم بحجارة الطواحين من الآلات ضد الأسوار، ودفع آخرون الأبراج، وتولى آخرون الرمي بالقسي الزيارة والقسي الطويلة، أو بالحجارة، إبعاد المحاصرين عن الشرافات، إلى حد أن مامن واحد منهم بات بإمكانه اظهار يده فوق الأسوار، وحاول في تلك الأثناء سكان المدينة استخدام وسائل جديدة، كان منها قطعاً من الأقمشة المحترقة، وقدوراً صغيرة مليئة بالنيران، من النوع السريع التحطم، وباستخدام أشياء أخرى، كما فعلوا من قبل، لتدمير آلات الصليبيين، وكانت هناك مقتلة كبيرة من على الجانبين، بسبب المقذوفات التي استخدمت، وكان من غير الممكن القول من من الفريقين قاتل بشجاعة أكبر، وكانت هناك واحدة من آلاتنا قد رمت حجارة كبيرة ضد الأسوار، كانت مدهشة بحجمها، وعندما وجد العدو أن وسائله غير فعالة جلب ساحرتين لتتوليا سحرهما وابطال مفعولهما، وعندما كانتا هاتين تقومان بسحرهما وإلقاء تعاويذهما، أصابتهما حجرة كبيرة من الآلة نفسها، وقتلتها، مع ثلاث نساء أخريات كن يتولين خدمتها، وسقطت أجساد الخمسة في الخندق، وصدرت صرخة مدوية عن الجيش لدى رؤيته لهذا المشهد، أما معنويات الأتراك فقد تدمرت بشكل كامل، وكانت الآن الساعة السابعة من النهار، وكان رجالنا قد ملوا من بذل جهودهم غير المجدية، وكانوا يفكرون بالتراجع وبسحب أبراجهم التي كانت تحترق، وكذلك آلتهم، وبإيقاف الهجوم حتى اليوم التالي، وقتها أظهرت المعونة السماوية ذاتها، وأهبت الأمل في قلوبهم، فقد ظهر فارس نازل من جبل

الزيتون حاملاً بيده ترساً بريقه يزيغ العيون، وقد أعطى إشارة إلى عساكرنا للعودة إلى القتال، واستئناف الهجوم، وتشجع الدوق غودفري بالإشارة، فاستدعى الجيش بأصوات مرتفعة، وبصرخات عالية، وقد أطاعوا أوامره بخفة ونشاط، حتى بدأ الأمر وكأن المعركة قد بدأت آنذاك.

وأعطاهم ناسك أملاً ونشاطاً، بإخبارهم بأنهم سوف يستولون على القدس في ذلك اليوم، وكان هذا نفسه قد سكن في جبل الزيتون، وشجعت هذه الشارات جميعاً الجيش، وجعلت عساكره متأكدين من أنهم سوف ينالون النصر، وتمكن أخيراً الدوق غودفري، بالنعمة التي منحها الرب إليه، من إزالة جميع العقبات وتسوية الأرض، ومن ثم الوصول بحرية إلى الأسوار، التي كان المحاصرون الذين يدافعون عنها في غاية الانهك، وقام رجاله ببناء على أوامره بإلقاء النييران على الأكياس والفرش التي كانت مليئة بالقش، ومعلقة من فوق الأسوار، ونشر اللهب الذي حركته الرياح دخاناً انتشر في المدينة كلها، إلى حد أن المدافعين عن الأسوار لم يعد بإمكانهم متابعة بذل الجهود والمثابرة فانسحبوا من وراء الشرافات، وأمسك الدوق عوارض الخشب، التي علقوها من الأسوار لإزعاج رجالنا بها، وجعل نهاياتها مربوطة بالبرج بمسامير، والنهايات الأخرى فوق الشرافات، ثم ألقى بالجرس بحيث امتد من طرف البرج إلى شرافات السور، وهكذا كان الدوق، الذي كان فارساً شجاعاً، أول من دخل المدينة، ولحق به أخوه يوستاس، ثم روبرت دوق نورماندي، وبعدهم كونت فلاندرز مع أخويه ليتولف -Li-tolf، وغلبرت، وتجمع فوق الجسر حشد كبير من الفرسان والرجالة إلى حد أنه لم يعد يستطيع تحملهم.

وعندما شاهد الأتراك بأن جنودنا، قد استولوا على الأسوار، وأن الدوق قد نصب رايته فوقها، تخلوا عن الأبراج، وهربوا إلى الأزقة

الضيقة، وأيضاً لدى إدراك عامة جنودنا بأن الأمراء قد حصلوا على موقع في الأبراج، نصبوا السلم، وأسندوها على الأسوار بالسرعة الممكنة، والتحقوا بقادتهم من دون تأخير، ثم أرسل الدوق غودفري بعضاً من رجاله لفتح الباب الشمالي، الذي مايزال يعرف باسم باب القديس بولص، وما أن تم فتحه، حتى دخل الجيش، وكان ذلك في الساعة التاسعة، من اليوم السادس من الاسبوع، فآنذاك جرى الاستيلاء على القدس، وكان ذلك في سنة ١٠٩٩ لتجسيد ربنا، أي بعد أربع سنوات منذ أن ربط الحجاج أنفسهم بعهد الحج، وكان آنذاك البابا أوربان الثاني جالساً على كرسي الكاثوليك الرومان، وكان هنري هو امبراطور الرومان، وألكسيوس هو امبراطور الامبراطورية الاغريقية، وكان فيليب يحكم في فرنسا، ووليم روفوس في انكلترا، في حين حكم على جميع الناس وعلى كل الأشياء الرب يسوع المسيح، إلى أبد الأبدين، فله التشریف والمجد لعصور بلانهاية.

كيف جرى قتل جميع الأتراك ومن ثم تنظيف المدينة المقدسة

وجرى الاستيلاء على المدينة وفق هذه الطريقة، وقام الدوق غودفري مع الأتباع المؤمنين بالتحكم بالطرقات بسيوف مجردة، وتولوا قتل جميع الأتراك الذين قابلوهم، وكان عدد الجثث كبيراً جداً، وكذلك عدد الرؤوس التي فصلت عن أجسادها، حتى أنه لم يعد بإمكان أي انسان السير في الطرقات من دون أن يسير فوق أجساد ميتة، وأثناء حدوث هذا كله، كان كونت طولوز مع الأمراء، الآخرين يقاتلون بشجاعة حول جبل صهيون، غير عارفين بما حدث، لكن عندما سمعوا صراخ الفريقين المتصارعين، وشاهدوا مقتلة سكان المدينة، عرفوا بأن المدينة قد جرى الاستيلاء عليها بعد اقتحامها، وأن عساكرنا قد نالت النصر، وبناء عليه أسندوا على الفور السلم على الأسوار، ودخلوا إلى المدينة من دون مقاومة، وقتلوا من الأعداء أعداد كبيرة، وفتحوا الباب الجنوبي

الذي كان بجوارهم، وتركوا بقية الجيش يدخل، وهكذا فإن الأتراك الذين انهزموا من الدوق ومن رجاله، وقعوا الآن أمام هذا العدو الجديد، وصاروا بين نارين، وكانت المذبحة التي اقترفت في كل جزء من أجزاء المدينة هائلة، وكانت كميات الدماء المراقاة كثيرة إلى حد أنها سببت الانزعاج والقرف للمتصرين أنفسهم.

وسمع تانكرد بأن عدداً كبيراً من الأتراك قد هربوا للالتجاء في ساحات المعبد، فاندفع إلى هناك مع عدد كبير من الرجال المسلحين، وشق طريقه إلى داخل المعبد بالقوة، وقتل عدداً كبيراً من الناس هناك في داخله، ويقال بأنه انتزع، وسلب، وحمل معه، كميات واسعة من الذهب والفضة، ولدى سماع بقية الأمراء بهذا اندفعوا إلى الداخل مع حشد من الفرسان والرجالة، وقتلوا كل من واجهوه، وملأوا الطرقات بالدماء، ويقال بأن عشرة آلاف من الأتراك قد قتلوا بين أطراف المعبد، وذلك بالاضافة إلى الذين قتلوا في الطرقات في أحوازه حيث بلغ تعدادهم مثل ذلك، ثم إن رجالنا تفرقوا خلال الشوارع، وبحثوا في كل مكان سري أو خفي، وأخرجوا كل من وجدوه من سادة وسيدات مع أطفالهم وأسرهم، لقد جرّوهم من غرفهم السرية ومن حيث خبأوا أنفسهم، وقتلوهم إما بالسيف، أو أطاحوا بهم من الأعلى على رؤوسهم، فدقوا أعناقهم، وكان كل من تملك بيتاً أولاً أو قصراً، ادعى ملكيته بشكل دائم، لأنه كان هناك اتفاق بين الأمراء، أنه عندما يجري الاستيلاء على المدينة، ينبغي أن يحتفظ كل انسان بكل ما يمكنه الاستيلاء عليه، وهكذا أقدم كل من استولى على بيت قبل سواه، بتثبيت علم، أو ترس، أو أي نوع من السلاح، عند الباب، كعلامة بأن البيت قد جرى احتلاله وتملكه.

كيف زار الأمراء الأماكن المقدسة

وبعدما عاد الهدوء إلى المدينة، بعد الاستيلاء عليها، وجرى جمع

الغنائم والأسلاب من قبل الحجاج، شرعوا مع الآهات والدموع، وبأقدام حافية، ومع كل علامة من علامات التواضع والخشوع، بزيارة كل مكان مقدس، كان ربنا قد قدسه بحضوره، وبشكل خاص كنيسة قيامة ربنا وآلامه، ولكم كان ممتعا أن تشاهد مدى الخشوع الذي أبداه المؤمنون من الجنسين، بينما حلقت نفوسهم بمتعة روحانية، واقتربوا وهم يسكبون الدموع من الأماكن المقدسة، وهم أيضاً يقدمون الشكر للرب لتمكينهم من ايصال جهودهم التقوية وصلواتهم الطويلة إلى النهاية المطلوبة، ومن هناك حصلوا على آمال، بأن ماعملوه سوف يكون نافعا في القيامة المستقبلية، وأن الفوائد الحالية سوف تعطيهم توقعاً مؤكداً حول كل ماهو مقبل، وأن القدس الأرضية التي ساروا عليها الآن، سوف تكون بالنسبة إليهم الطريق إلى القدس القائمة في السماء.

وقام الأساقفة أيضاً والكهنة، بنظهير كنائس المدينة، ولاسيما أحواز المعبد، وكرسوا للرب الأماكن المقدسة، ثم أقاموا القداسات أمام الناس، وقدموا الشكر للمباركات التي تلقوها، وفي ذلك اليوم أيضاً، قيل بأن أدهر أسقف لي بوي، صاحب الذكرى الخالدة، والذي قلنا بأنه قد توفي في أنطاكية، قد شوهد من قبل عدد كبير من الناس في المدينة، لابل أكثر من هذا، لقد أكد كثير من الناس من أعظمهم ثقة بأنهم رأوه بأعينهم يتجول مع الأمراء ويقوم بزيارة الأماكن المقدسة، يضاف إلى هذا، أن كثيرين آخرين، من الذين ماتوا في سبيل المسيح أثناء الحج، قد ظهوروا في المدينة أمام الكثيرين، وهم يزورون بخشوع الأماكن المقدسة.

أما بالنسبة لبطرس الناسك، الذي كان قبل خمس سنوات، قد زار البطريرك والسكان المؤمنين للمدينة المقدسة، والذي تولت حماسته وغيرته إقناع أمراء الغرب بالتعهد بالقيام بالحج، بطرس هذا قد اعترف الجميع به، وحيوه بعاطفة جياشة، وقد تلقى شكرهم، لأنه قام باخلاص عظيم باثارتهم للقيام بهذه المهمة، وجعل الأمراء والشعوب

يتولون بذل هذا الجهد العظيم من أجل المسيح وفي سبيله.

وعندما تمّ الفراغ من هذا كله، عاد الأمراء إلى بيوتهم وأماكن سكناتهم، التي كان الناس في تلك الأثناء قد أعدوها لهم، وقد وجدوها مليئة تماماً بكل شيء ضروري، وصار لدى الجميع من أدناسهم إلى أعلاهم وفرة عظيمة من كل شيء يرغبون به، من: ذهب، وفضة، وجواهر، وملابس ثمينة، وقمح، وخمرة، وزيت، وذلك بالإضافة إلى كميات عظيمة من المياه، وقام الذين عانوا كثيراً من العوز والفاقة أثناء الحصار، والذين تملكوا الآن البيوت، وصار لديهم قدرة، قاموا بسد العوز لدى إخوانهم المحتاجين، ونتيجة لذلك توفرت في اليوم التالي للانتصار كميات عظيمة من كل شيء يمكن أن يرغب به الإنسان معروضة للبيع في السوق العام بأسعار متدنية، حتى أن أدنى الناس مكانة صارت لديهم وفرة من كل شيء.

كيف انتخب الأمراء ملكاً وبطريكاً

وبعد سبعة أيام أمضيت بالراحة وبالمتعة الروحانية، اجتمع الأمراء مع بعضهم في اليوم الثامن، ليقرروا بفضل نعمة الروح القدس، أيّاً من أفرادهم سوف يكون ملكاً لتلك المنطقة مع المدينة المقدسة، هذا ولا يجوز لي أن أغفل أن جميع الأمراء طلبوا الإلهام من ملاك الحكمة في عليين، أن ينتخبوا ملكاً الذي يتولى الرب تعيينه، وأعطيت وقتذاك شمعة إضاءة إلى كل أمير، على أساس أن الذي سوف يختاره الرب من بينهم بإضاءة شمعته تتوجب تحيته ملكاً من قبلهم جميعاً، ووقع الاختيار على روبرت دوق نورماندي، فقام هذا بإطفاء الضوء، ومن دون سرور أبعده الاختيار الرباني، ذلك أنه قال بأنه سوف يتمتع من بعد بسultan أعظم، عندما يعود إلى وطنه في انكلترا ذلك أنه كان قد سمع للتو نبأ وفاة أخيه وليم روفوس، وقام الأمراء الآن بعد كثير من النقاشات، باختيار الدوق غودفري، واصطحبوه وسط الحمد،

والترانيم، والمزامير إلى أمام ضريح الرب.

كما أنهم قرروا القيام بتعيين بطريك للمدينة المقدسة، وبفضل جهود روبرت دوق نورماندي، حصل أسقف من ماتورين Maturane في كلابريا على التعيين لإيثاره له، وكان اسمه أرنولف، كما كان ابناً لكاهن، ومعروفاً بين الحجاج بفسوقه وطيشه، هذا ومالبت أرنولف أن مات، وبذلك انتهت عملية تعيينه، وبقي الكرسي بعده شاغراً لمدة خمسة أشهر، وقام الأمراء الذين كانوا موجودين، بعد كثير من المناقشات، باختيار ديبرت Daibert المحترم، لأن يجلس على عرش البطريركية، وليارس عنايته الرعوية، وكان من قبل أسقف كنيسة بيزا، وكان رجلاً عظيم المعرفة، وقد نشأ منذ طفولته وسط المسائل اللاهوتية.

كيف جرت هزيمة جيش سلطان مصر من قبل الصليبيين

وقبل مضي وقت طويل على استيلاء المؤمنين على المدينة المقدسة، سمع سلطان مصر ودمشق، الذي كان الأقوى بين الأمراء الشرقيين، بالذي حدث للقدس، فاستدعى أمير الجيوش لديه، وكان اسمه الأفضل، وأمره بالزحف إلى سورية مع جميع قوات مصر، وامبراطوريته كلها، لإزالة الشعب الطائش من على وجه الأرض، حتى لا يذكر اسمه ثانية، هذا وكان الأفضل من أصل أرمني، وولد من خلال أبوين مسيحيين، لكنه من أجل الثروة ارتد عن الايمان، وكان اسمه التعميدي إميوريوس (١) Emyreius، لكنه بعدما غير دينه، أصبح يدعى باسم الأفضل، وعلى هذا قام عدو صليب المسيح هذا بحشد جميع قوات مصر، والعربية، ودمشق، ووصل إلى عسقلان، وهناك نصب معسكره مع جميع عساكره، وبنيت متابعة الزحف إلى القدس، ليقوم بمحاصرة الجيش الصليبي هناك وأن يقوم بعد هزيمته له، بتدمير ضريح ربنا

١ - كذا ولعل هذه التسمية تصحيفاً لكلمة « أمير الجيوس » اللقب الذي حمله الأفضل من بعد أبيه ووراثته عنه.

تدميراً كاملاً، ولكن حجاج الصليب لم يكونوا على استعداد للتعرض ثانية لمحنة ومآسي الحصار، ولذلك احتشدوا جميعاً من شعب ورجال دين عند ضريح ربنا، وطرحوا أنفسهم على الأرض، وتوجهوا بالدعاء إلى الرب، بقلوب متضرعة مع كثير من النحيب، والتمسوه أن يكون رحيماً فيحرق شعبه من مخاطره الهائلة، وبعدهما حصلوا على الثقة من هذا العمل الديني، زحفوا بشجاعة نحو عسقلان لمواجهة العدو في الميدان، وحملوا معهم قطعة من صليب الرب، كانت قد اكتشفت مؤخراً من قبل واحد من سكان القدس اسمه سيروس Syrus ، الذي كان قد أبقاها في حفظه، وأنها وصلت إليه من عصور قديمة.

ووصل الدوق، الذي هو الآن ملك القدس، إلى الرملة، مع بقية الأمراء، وعلم هناك بشكل مؤكد بأن إمبريوس المتقدم الذكر معسكر مع جيشه عند عسقلان، ولذلك بعث أمامه بمائتين من الفرسان، لاستطلاع الطريق، وللتجسس حول أوضاع العدو، وبعدهما ساروا مسافة قصيرة، وجدوا بعض قطعان الثيران، والخيول، والجمال، مع رجال مسؤولين عن جميع هذه الحيوانات، وكذلك بعض الفرسان الذين كانوا يتولون حراستهم، وقد هرب هؤلاء في اللحظة التي اقترب فيها رجالنا، وتركوا الأسراب للعناية بأنفسهم وجرى - على كل حال - اعتقال بعض هؤلاء، وتم الحصول على معلومات منهم فيما يتعلق بخطط العدو، وأن قائدهم الأعلى، الذي كان على بعد سبعة أميال، قد اقترح القيام بعد يومين بالهجوم وتدمير جيشنا، وكان تعداد الصليبيين حوالي اثنتي عشرة مائة فارس، أما الرجال فكانوا حوالي ستة آلاف، وقام هؤلاء وقد وثقوا من الحصول على النصر، بتعبئة رجالهم، فجعلوهم في تسعة أقسام، وضعوا ثلاثة منهم في المقدمة، وثلاثة في الوسط، وثلاثة في الساقة، حتى إذا ما حرق العدو القسم الأول والقسم الثاني، أو من أي جانب، يمكنه أن يجد خطأ آخر جاهزاً للتصدي له،

وكانت الأسلاب التي كانوا قد حصلوا للتو عليها كبيرة جداً، وقد أمضوا الليل حيث كانوا مع سرور عظيم، وفي الصباح جرت دعوتهم بوساطة البوق للاستعداد للقتال، وعهدوا بأنفسهم للرب، ومع ثقتهم المطلقة به، زحفوا نحو الأمام كأنهم رجل واحد لمواجهة العدو، وتقدمت الكتائب وفق نظام عسكري، وزحفت بشكل قتالي ثابت، وفي تلك الأثناء تمكنوا من الاحتفاظ بالمواشي والدواب، ودفعها بقوة ربانية، ولذلك بدا من الأثر، ومما أحاط بالعساكر من على اليمين ومن على اليسار من غبار، أن القوات الزاحفة كبيرة، إلى حد أن مامن أحد يمكنه منعها.

ورأى العدو عن بعد هذا المشهد، من خلال نور الشمس غير الواضح، فبدأ يشعر بالخوف، قبل حدوث القتال، لأنه اعتقد أن الجيش الصليبي كان جيشاً ضخماً جداً، مع أن تعداد قوات هذا العدو كانت أكبر بكثير من حيث الرجال، وقام روبرت دوق نورماندي الذي كان قائد الصليبيين وحامل علمهم بإنجاز، لا يمكن إلا الثناء عليه كثيراً، فقد شاهد عن بعد راية أمير الجيوش ولها تفاعحة ذهبية على رأس رمح، وكانت تشع مع صفائح فضية، فافترض بأن أمير الجيوش شخصياً كان هناك، فحمل عليه من خلال وسط الأعداء، وسبب له جرحاً مميتاً، ولذلك ألقى برعب كبير بين صفوف المسلمين.

نحيب أمير الجيوش والنصر والغنائم

وعندما كان أمير الجيوس بالرمق الأخير، لجراحته المميتة، تفوه بكلمات النحيب التالية وتوجه بها إلى الرب القدير قائلاً: «يا أعظم من كل شيء، أي مصير صعب مصيري هذا، وأية وصمة عار لسلاحنا، عندما انتصرت فئة صغيرة من الرجال المعوزين على قواتنا العظيمة، فقد قدت إلى هنا مائتي ألف من الفرسان (كذا) وأعداد أعظم من الرجالة، وكان — كما هو مفترض — عليّ أن أقهر العالم كله، لكنهم الآن — إذا لم

أكن مخطئاً— قد انهزموا بشكل مشين من قبل أقل من ألف من الفرسان، وبضعة آلاف من الرجال، ولاشك أن ربهم هو القدير، وقد قاتل في سبيلهم، أو أنه غاضب علينا، وعاقبنا بغضبه الشديد ومهما كان الحال، إنني لن أعود ثانية للالتقاء بهم في معركة، بل سأعود مجللاً بالعار إلى بلدي، إذا ما بقيت حياً»، وجدد بهذه الكلمات بكاءه، وغرق في نحيب عظيم، وكان الأتراك وقتها يفكرون بالهزيمة، وفيما هم كذلك قام فارس من اللورين، كان معينا في الساقفة مع الدوق غودفري، بالحملة عليهم من على الجناحين، وحرّمهم من فرصة التراجع، وبهذه الصورة هوجموا من الأمام من قبل دوق نورماندي، وحرّموا من التراجع من قبل الذين كانوا خلفهم، ولذلك مزقوا إلى قطع حسب مشيئة الصليبيين، وهرب القائد ونجا على ظهر جمل بفراره بسرعة كبيرة، ووقتها وصل جيشنا، وقد أنعم عليه بالنصر من عليين، إلى معسكر العدو، حيث وجد وفرة عظيمة من الذهب، والفضة، والمقتنيات، والحجارة الثمينة، وثروات غير معروفة في مناطقنا من العالم، وقد امتلأوا حتى التخمة بها، حتى أن الأدنى بينهم كان يمكنه أن يردد مع الشاعر (أوفيد):

« الوفرة عملتني فقيراً »

واستنقذ الدوق روبرت الراية السلطانية مقابل عشرين ماركاً من الفضة، أعطاها للذي احتفظ بها أثناء قيامه بمطاردة العدو، وحملها إلى ضريح ربنا، لتكون شاهدة على تخليد نصره، وباع رجل آخر سيف القائد نفسه مقابل أربعين قطعة ذهبية، وبهذه الطريقة لحقت الهزيمة بالأعداء، وحصل جيشنا بهبة من الرب، على النصر، وعاد مسروراً جداً إلى القدس، مثقلاً بكثير من كميات الأسلاب.

عودة روبرت دوق نورماندي وكونت فلاندرز إلى وطنيها

وبعدما أكمل روبرت دوق نورماندي وكونت فلاندرز حجها بنجاح، عادا إلى بلديهما، وقال بعضهم بأن الرب قد غضب منه، لأنه رفض تسلم السلطة في القدس، ولم يسمح له بعد ذلك بالنجاح في أي شيء، كما سوف يتحدث التاريخ فيما بعد، وبناء عليه، بعدما ذهب هذان الأميران، احتفظ الملك غودفري معه بتانكرد، وغارنر كونت دي غري، وبعض آخر من الأمراء الغربيين، وقد أدار المملكة التي منحه الرب إياها بنشاط وحكمة، وقد منح مدينة طبرية، القائمة على بحيرة جنسارث مع جميع منطقة الجليل، ومدينة حيفا البحرية والمعروفة أيضاً باسم بروفريا إلى اللورد تانكرد، الذي كان راغباً في حكمه في إرضاء الرب، حتى أن كنائس تلك المنطقة تتحدث حتى الآن عن حكومته بفخار، وبعد مضي عامين جرت ترقيته لفضائله إلى إمارة أنطاكية، وقد أغنى الكنائس، التي كانت مجيدة في العصور الخالية، بكثير من الهدايا، وذلك بالاضافة إلى أنه وسع حدود إمارته بأن أضاف إليها عدة مدن وقلاع استولى عليها.

وضع المدينة المقدسة والمدن الواقعة من حولها

من المعروف بشكل جيد أن مدينة القدس واقعة في منطقة جبلية عالية، وفي ديار سبط بنيامين، وكان في غربيها ديار سبط شمعون، وأرض الفلسطينيين، والبحر المتوسط، وهي تبعد عنه حتى مدينة يافا أربعة وعشرين ميلاً، وفي منتصف الطريق إلى هناك قلعة عمواس، ومودين، حصن المكابيين المباركين، ونين قرية الكهنة، واللد التي شفى فيها بطرس عنياس العاجز، وحيث عاش سمعان في بيت سمعان الدباغ، وذلك عندما تسلم الرسالة، فأعاد إلى الحياة في يافا التلميذة التي اسمها تابيثا، ويقع على الجهة الشرقية من القدس نهر الأردن، وصحراء أبناء الأنبياء، وعلى أربعة عشر ميلاً، هناك واد كثير الأشجار، وكذلك البحر الميت، وعلى هذا الجانب من الأردن مدينة أريحا، والجليل مسكن

اليشع، وهناك على الجانب الآخر: جلعاد، وبيسان، وعمون، ومآب، اللاتني جرى فيما بعد، اقتسامهن بين سبطي رأوبين، وجاد، ونصف سبط منسى، وتمتد المنطقة هذه الآن وتعرف بشكل عام باسم العربية، وإلى الجنوب من القدس ديار سبط يهوذا، حيث في دياره: بيت لحم التي تقديست بولادة ربنا، وتقوع بلدة حبقوق وعموس، وحبرون، التي هي قرية أربعة، وأيضا مدفن البطارقة اليهود، وتقوم في الشمال جبعون، التي حظيت بالشهرة، بسبب نصر يوشع بن نون، وسبط إفرايم، وشيلوه، وشيكار، ومنطقة السامرة، وبيت إيل، الذي شهدت ذنب يربعام، وسبسطية، وقبر اليشع، وعوبديا، والمنطقة التي شهدت استشهاد يوحنا المعمدان، وكانت هذه المنطقة تعرف من قبل باسم السامرة اشتقاقاً من جبل سومر، وكان هذا كذلك اسم المنطقة كلها، التي كانت هي مملكة ملوك اسرائيل، وهناك أيضاً توجد مدينة نابلس - أونيوبولس - حيث قتل شمعون ولاوي ابنا يعقوب شكيم ابن عمور Emmor، لاغتصابه اختها دينه، ودمرا مدينته بالنار.

والقدس هي حاضرة اليهودية، وكان اسمها في البداية - وفقاً للتاريخ القديم - سالم، اشتقاقاً من اسم سام أكبر أبناء نوح، الذي بناها وحكم عليها، وهو الذي عرف فيما بعد باسم ملكيصادق، الذي قدم خبزاً وخمرة إلى ابراهيم عندما عاد من قتله للملوك الأربعة، ومعنى كلمة « ملكيصادق » « ملك العدالة »، وقد حفظه الله من الطوفان، حتى يلد المسيح من سلالته، وكان هناك في ذلك الوقت مدينة أخرى، اسمها - تبعاً لجيروم - سالم، وقد حُكمت أيضاً مثل المدينة المتقدمة من قبل ملكيصادق، ومن الممكن رؤية خرائبها حتى هذه الأيام قرب مجرى نهر الأردن، ومع مرور الأيام صارت المدينة تعرف باسم ييوس، وذلك اشتقاقاً من اسم واحد من ملوكها، وهكذا بدمج هذين الاسمين: « ييوس » و « سالم » صارت تعرف باسم « ييوس سالم »، ثم

جرى استبدال حرف «ب» بحرف «ر» فصارت تعرف باسم «يروس سالم» (أورشليم)، وفيها بعد عندما استولى داوود على ييوس، عرفت باسم مدينة داوود، وعندما حكمها ابنه سليمان صارت تعرف باسم هيروسوليا أي هيروسالم، التابعة لسليمان.

وفي السنة الثانية والأربعين، بعد آلام ربنا، وبسبب آثام اليهود، حوصرت هذه المدينة وجرى الاستيلاء عليها من قبل تيتوس الأمير المجيد للرومان، الذي دمرها، إلى حد أنه وفقاً لكلمة الرب لم تبق فيها حجر فوق حجر آخر، وقد بنيت فيها بعد من قبل ايليوس هدريان، الذي كان الامبراطور الرابع بعد تيتوس، وباتت تعرف باسم إيلياء، اشتقاقاً من اسمه، هذا وكانت من قبل قائمة فوق الجروف المنحدرة للجبل، وتوجهت بشكل مستمر ومنحدر نحو الشرق والجنوب، قائمة على جانب جبل صهيون وجبل موريا، وفيها فقط الهيكل، وقلعة أنطونيا على قمة الراية لكن قام الآن الامبراطور هدريان بنقلها كلياً إلى القمة، وبذلك أغلق موضع آلام ربنا وأدخله داخل دائرة الأسوار.

الأماكن المقدسة في داخل المدينة المقدسة

إن هذه المدينة المقدسة، المحبوبة من الرب، ليست واسعة بقدر المدن العظمى في العالم، غير أنها أوسع من عدد كبير من المدن الصغرى، وهي من حيث الشكل مستطيلة، لها أربعة أضلاع، حيث أول الأضلاع أطول من البقية، والأضلاع الثلاثة المتبقية محاطة بوديان عميقة، فمن الجهة الشرقية منها هناك وادي شعفاط، الذي في قعره كنيسة أم الرب، حيث من المعتقد أنها قد دفنت، وقبرها المجيد مرئي هناك، ودون ذلك هناك جدول قدرون، الذي يعود بأصوله إلى الأمطار التي تتساقط في ذلك المكان، وحوله قد قيل: «لقد مضى إلى ماوراء جدول قدرون» النخ، وهناك من الجنوب وادي جيحون، وهو متصل بالوادي المتقدم الذكر، وهو في تقسيم البلاد عائد إلى سبطي بنيامين ويهوذا، ويرتفع هذا

الوادي نحو قمة الجبل القائم في مواجهة بيت عنان Beennon في الغرب، وهناك حقل الدم الذي شري بالمال الذي دفع من أجل ربنا، وهو مكرس لدفن الغرباء فيه، وفي الجانب الغربي من هذا الوادي نفسه هناك موضع فيه بركة قديمة، كانت مشهورة في أيام ملوك اليهودية، وهناك بالأعلى بركة أخرى اسمها «جب البطيرك»، على مقربة منها الكهف المقبرة الذي اسمه «كهف الأسد»، ومن الجانب الشمالي، من الممكن الوصول إلى المدينة عبر أرض مستوية، وذلك عند المكان الذي يقال بأن الرائد الشهيد اسطفان قد رجم فيه.

وتحت سلطان بطيرك هذه المدينة المقدسة أربعة رؤساء أساقفة هم: رئيس أساقفة صور، ورئيس أساقفة قيسارية، ورئيس أساقفة الناصرة، ورئيس أساقفة البتراء، التي تعرف أيضاً باسم الشوبك، ورتاسة الأسقفية الأولى في فينيقية، والثانية في منطقة فلسطين، والثالثة في الجليل، والرابعة في منطقة مآب، ويساعد رئيس أساقفة قيسارية، أسقف سبسطية، وتحت رئيس أساقفة صور أربعة أساقفة مساعدين هم: أسقف عكا، وأسقف صيدا، وأسقف بيروت، وأسقف بانياس، التي تعرف أيضاً باسم قيسارية فيليب، وفي منطقة الناصرة كرسي أسقفية واحد هو الموجود في طبرية، ولدى رئيس أساقفة البتراء أسقف مساعد واحد أيضاً، هو أسقف إغريقي في جبل سيناء، وإلى جانب الذين تقدم ذكرهم، لدى البطيرك أيضاً تحت سلطته الرعوية المباشرة أساقفة: بيت لحم، واللد، وحبرون، حيث جرى دفن: آدم، وحواء مع ابراهيم، واسحق، ويعقوب.

والأماكن المقدسة في المدينة هي: كنيسة قيامة ربنا على جبل الجمجمة، والموضع المعروف بالجلجلة، وهناك هيكل آخر، يوجد فيه رجال دين، ويوجد في كنيسة جبل صهيون رهبان نظاميون، لهم راعي دير على رأسهم، وفي كنيسة وادي شعفاط رهبان سود تحت رئاسة

راعي دير، وهناك في كنيسة اللاتين رهبان سود تحت رعاية راعي دير، وهؤلاء جميعاً رؤساء ديرة متوجون، وهناك فضلاً عن ذلك مدن أخرى ليس لها أساقفة، وهذه هي: عسقلان، وهي خاضعة لأسقف بيت لحم، ويافا التي هي تحت سلطة كهنة الهيكل، وحيفا، وهي خاضعة لرئيس أساقفة قيسارية، والناصرية، وهي المكان الذي ولدت فيه مريم أم ربنا، وفيها جرى الحمل بابن العلي الأعلى في رحم العذراء، وبيت لحم، التي ولد فيها خبز الحياة، والأردن، وهو النهر الذي كان تعميد المسيح فيه، وهناك مكان آخر فيه صام المسيح، وأغوي من قبل الشيطان، وبحيرة جنسارث، حيث دعا تلاميذه، وعمل كثيراً من المعجزات، وجبل الطور حيث عليه ظهر وتغير شكله.

وفي داخل المدينة المقدسة هناك الهيكل الذي جرى تقديمه فيه، وجبل صهيون حيث تعشى مع تلاميذه، وحيث نزلت الروح القدس على التلاميذ، وحيث أيضاً غادرت أم ربنا هذا العالم، وجبل الجمجمة هو المكان الذي عانى فيه من الموت، والضريح حيث مدد، ثم قام ثانية في اليوم الثالث، وجبل الزيتون حيث جلس على أتان، وجرى تعبد من قبل الأطفال، ومنه صعد إلى السماء، وبيت عنيا حيث أقام لعازر من الموت، وسلوان حيث أعاد النظر إلى الذي كان قد ولد أعمى، وجيساني، أو وادي شعفاط هو المكان الذي اعتقل فيه المسيح من قبل اليهود، وحيث جرى دفن الأم مريم، وكنيسة القديس إسطفان، حيث جرى رجمه حتى الموت، وسبسطية حيث جرى دفن يوحنا المعمدان مع النبين: اليسع، والياس، ولا بد أن يكون في هذا كفاية للقارئ في الوقت الحالي فيما يتعلق ببلاد القدس والمدينة المقدسة.

كيف نظر الملك ولیم إلى بلاطه في القاعة الجديدة في وستمنستر

وفي السنة نفسها التي هي سنة ١٠٩٩م، عاد ولیم ملك انكلترا، إلى انكلترا بعد مغادرته نورماندي ونظر إلى موضع بلاطه للمرة الأولى، في

القاعة الجديدة في وستمنستر، عندما دخل إليها أولاً مع حاشية كبيرة من الجنود لتفقدوها، وقال بعضهم بأنها كانت واسعة أكثر من الضروري، لكن الملك رد على ذلك بقوله بأنها نصف حجم ما ينبغي أن تكون عليه، وأنها يمكن أن تكون فقط غرفة نوم، في توزيع القصر الذي عزم على بنائه.

وبعد مضي وقت قصير، وعندما كان يصطاد في الغابة الجديدة، وصل إليه رسول أخبره بأن أسرته كانت محاصرة في مين Main، فبادر الملك على الفور مسرعاً بالنزول إلى شاطئ البحر، وصعد إلى ظهر سفينته، غير أن البحارة قالوا له: «أيها الملك العظيم، لماذا أنت مسافر بالبحر وسط هذه العاصفة؟ أولست خائفاً من التعرض للغرق؟» وقد رد على ذلك قائلاً: «إنني لم أسمع بأن ملكاً قد غرق»، ووفق هذه الطريقة عبر البحر، ولم ينل مثلما ناله من سمعة حسنة طوال حياته بوساطة هذا العمل، لأنه ما أن وصل إلى مين حتى تولى طرد الكونت هلياس Helias، وعاد إلى انكلترا بعد استيلائه على المدينة.

وفي السنة نفسها أعطى الملك وليم أسقفيه درم Durham إلى راندولف Randolph الذي كان رجل الإدعاء لديه، وكان رجلاً سيئاً، وفارق أوسموند Osmund أسقف سالسبري هذه الحياة، وأوصل سيغبرت Sigebert راهب غمبلور Gemblours تاريخه إلى هذا التاريخ (الصحيح أوصله حتى ١١٥٢)، وشوهد الدم في السنة نفسها ينبع من الأرض في فينكهامبستد Finchampstead في بيركشاير Berkshire، واستمر ذلك طوال الليلة التالية، وبدت السموات حمراء، وكأنها كانت تحترق بالنار.

موت وليم روفوس وبعض الشارات التي بشرت بموته

في سنة ١١٠٠ عقد الملك وليم روفوس بلاطه في عيد الميلاد وسط

أهبة كبيرة وكان ذلك في غلو كستر Gloucester ، وفي عيد الفصح في وينكستر Winchester ، وفي أحد العنصرة في لندن، وفي اليوم التالي، الذي كان يوم عيد القديس بطرس في الأغلال (٢-آب)، ذهب إلى الصيد في الغابة الجديدة، وهناك عندما كان وولتر تيرل Tyrrel يرمي نحو وعل، أصاب - دونها قصد - الملك، حيث خرق السهم حتى القلب، دون أن يتفوه بكلمة، وهكذا أنهى موت تعيس حياته الوحشية، وكانت قد ظهرت عدة علامات أشرت على موته، ذلك أنه حلم قبل يوم من وفاته بأنه قد فصد من قبل طيب، وأن دمه المتدفق وصل حتى السماء وحجبها، ولذلك استيقظ من نومه، ودعا باسم القديسة مريم، وطلب مصباحاً، وأبقى حجابيه معه طوال بقية الليل، وفي الصباح، كان هناك راهب أجنبي، كان موجوداً في البلاط من أجل بعض الأعمال المتعلقة بكنيسته، وقد قص هذا الراهب على روبرت فتز - هامون، وكان نبيلاً له سلطان، ومقرباً من الملك، بأنه قد رأى مناماً مدهشاً في الليلة المتقدمة: فقد رأى بأن الملك قد دخل إلى كنيسته، وألقى بنظرته المتكبرة على المجتمعين من حوله، ثم إنه تناول الصليب ووضع بين أسنانه، وضغط عليه حتى كاد أن يقتطع الذراعين والقدمين ويفصمهما، وكان الصليب في البداية مماشياً للملك، لكنه بعد ذلك ركل الملك بقدمه اليمنى، ولذلك سقط على البلاط، وأخرج من فمه لهماً عظيماً صعّد دخانه مثل سحابة وصلت حتى النجوم، وأخبر روبرت الملك بهذا المنام، فقال وهو يضحك: «إنه راهب، مثله مثل جميع الرهبان، حلم بهذا ليحصل على شيء به، أعطه مائة شلن، حتى لا يقول بأنه حلم عبثاً».

وجرى الإخبار المتقدم بموت الملك التعيس - كما ذكرت من قبل - بواسطة الدم الذي خرج من الأرض، مع أنه لم تكن هناك حاجة لعلامة أخرى تبشر بالحادثة نفسها، لأن أنسلم رئيس أساقفة كانتربري،

عندما كان منفيًا لمدة ثلاث سنوات، من خلال طغيانه، سافر من روما إلى مرسينياك Marcenniac، من أجل التمتع بالحديث مع هيوغ راعي دير كلوني، وكان ذلك في حوالي بداية آب، وهناك جرى الحديث بينهما حول الملك وليم، وقد أكد رئيس الأساقفة، بصدق لا يمكن نقضه، بأنه قد رأى في الليلة المتقدمة الملك، وقد جرى احضاره إلى أمام عرش الرب، وقد أتهم بجرائمه، وحكم عليه من قبل الحكم العدل بالإدانة، لكنه لم يوضح كيف جرى إخباره بذلك، كما أن رئيس الأساقفة، والذين كانوا حضوراً آنذاك لم يقدموا على سؤاله، بسبب قداسته العظيمة وذهب رئيس الأساقفة في اليوم التالي أيضاً إلى ليون، وفي الليلة نفسها عندما غنى الرهبان الذين رافقوه الصلاة الليلية، كان هناك شاب، قد ارتدى ملابس بسيطة، وكانت ملامحه لطيفة، وقد وقف إلى جانب واحد من كهنة رئيس الأساقفة، وكان فراشه على مقربه من باب القاعة، ومع أنه لم يكن نائماً، أبقى عينيه مغلقتين، وقد دعاه باسمه قائلاً: «آدم هل أنت نائم؟ فأجابه الكاهن: «لا»، فتابع الشاب كلامه قائلاً: «هل تود سماع بعض الأخبار؟ فأجابه آدم « بكل ترحاب»، فتابع الشاب حديثه قائلاً: «على هذا اعلم بكل تأكيد بأن الخصام ما بين رئيس الأساقفة والملك وليم قد انتهى الآن»، ولدى سماع الكاهن هذه الكلمات نهض ونظر من حوله بعينين مفتوحتين فلم ير أحداً، وفي الليلة التالية أيضاً، عندما كان واحد من رهبان رئيس الأساقفة نفسه واقفاً في مكانه، وهو ينشد الصلاة الليلية، تصور بأن أحد الموجودين هناك ناوله ورقة صغيرة ليقرأها، وقد قرأ الراهب عليها الكلمات التالية: «الملك وليم قدمات»، وقد فتح على الفور عينيه، لكنه لم يشاهد أحداً باستثناء مرافقيه، وبعد وقت قصير جاء إليه (رئيس الأساقفة) اثنان من رهبانه، وأخبراه بأن الملك قد مات، ونصحاه باخلاص بالعودة على الفور إلى كرسيه الأسقفي.

حول أخطاء الملك وليم

إنه صحيح أن الملك وليم قد انقطع بالموت في وسط ظلمه، لأنه فاق جميع الناس، وفعل دوماً كل شر كان بإمكانه فعله، وكان بذلك يتبع نصائح مستشاريه الأشرار، فقد كان طاغية لشعبه، وسيئاً بالنسبة للغرباء، وأساء كل شيء لنفسه، وأغضب رعيته بضرائبه ومكوسه المستمرة، وفي الوقت نفسه أثار جيرانه بالحروب وبالغرامات، ولم يكن بإمكانه انكثرتا التنفس تحت وطأة ما فرضه عليها، لأن الملك وخدمه ألقوا بأيديهم عنيفة على كل شيء، وأوجدوا اضطراباً وفوضى على جميع الجوانب، وكانت أعمال اغتصابهم، وفسوقهم وغشهم، وظلمهم، قد وصلت إلى درجة لم يسمع بمثلاها في سابق العصور، وكان هذا الملك الشرير، المكروه من قبل كل من الرب ومن شعبه قد استولى من أجل استخداماته الشخصية، في يوم موته، على رئاسة أسقفية كانتبري، وأسقفتي: ونكستر، وسالسبري، إلى جانب اثني عشر ديراً، هو إما قد باعهم، أو أنزلهم للضمان، أو احتفظ بهم بين يديه، وهو لم يمارس جرائمه في الفسوق سراً، بل بشكل مكشوف في وضوح النهار، فهل أنا بحاجة لقول المزيد حول هذا الموضوع؟ فقد كان كل ما يرضي الرب، ويرضي العبيد المؤمنين للرب، من المؤكد كان لا يرضي الملك وأتباعه، وقد دفن في اليوم الذي أعقب يوم وفاته في ونكستر، هذا ولم يبلل قبره بدموع أحد، وكان السرور عظيماً هو الذي شعر به الناس لدى مغادرته.

كيف جرى تتويج هنري الأول ملكاً على انكلترا

وبعد وفاة الملك وليم، لم يعرف نبلاء انكلترا ما الذي حدث لأخيه الأكبر، روبرت دوق نورماندي، الذي كان قد مضى على غيابه خمس سنوات في الحملة إلى القدس، وكانوا غير راغبين في أن تبقى المملكة وقتاً طويلاً من دون حاكم، وكان هنري هو الأصغر بين أخوته

وأكثرهم حكمة، وقد أدرك الوضع، فجمع الناس ورجال الدين مع بعضهم في لندن، ومن أجل أن يقنعهم بمساندة قضيته ويعملونه ملكاً، وقد وعدهم بإعادة النظر بالقوانين وتصحيحها، وهي القوانين التي ظلمت بها انكلترا في أيام الملك المتوفى، وعلى هذا رد رجال الدين والشعب أنه إذا ما قام بتأكيد هذا في صك منشور يضمن جميع الحريات والعادات التي كانت مرعية في أيام حكم الملك المقدس ادوارد، هم سوف يستجيبون لرغباته ويعملونه ملكاً، وكان هنري جاهزاً للقيام بهذا، وقد تعهد بذلك وأكده باليمين، وقد جرى تنويجه في وستمنستر في يوم البشارة للقديسة مريم وكان ذلك مع اعتراف الناس ورجال الدين، والمناداة به، وبعد ذلك باخراج هذه الامتيازات كتابة، وفعل ذلك تشريفاً للكنيسة المقدسة ولسلام شعبه.

الحريات التي منحها الملك هنري إلى مملكته

من هنري، ملك انكلترا بنعمة الرب، إلى العمدة هيوغ دي بوكلاند Bocland، وإلى جميع شعبه المؤمنين من فرنسيين، وانكليز في هارنفورد شير Hertfordshire، أمنيات الصحة، اعلم أنني برحمة الرب، وباجماع بارونات المملكة قد تتوجت ملكاً على انكلترا، وبما أن المملكة كانت مضطهدة بكثير من الجبايات غير العادلة، إنني أقوم تشريفاً للرب، ولحبتتي لكم جميعاً التي أحملها بقلبي، بمنح الحرية للرب منذ الآن وللكنيسة المقدسة، بحيث أنني لن أجعلها خاضعة أو عرضة لبيع أو ايجار أو ضمان، كما أنني عندما يموت رئيس أساقفة، أو أسقف، أو رئيس دير، لن أتسلم أي شيء من ممتلكات الكنيسة أو من ممتلكات أتباعها، حتى يتعين والياً جديداً لها، وإنني أعلن عن إلغاء جميع المكوس الشريرة التي ظلمت بها الكنيسة بشكل غير عادل، ومن هذه المكوس الشريرة سوف أذكر هنا بعضها.

إذا مامات أي واحد من باروناتى، أو ايرلاتى، أو من الآخرين

التابعين إقطاعياً لي، لن يقوم وريثه بإنقاذ أراضيه كما كان من المعتاد أن يفعل في أيام أبي، بل سيدفع بشكل عادل وقانوني للتفريج عنها، وفي الطريقة نفسها سوف يسترد التابعون لباروناتى أراضيه من سادتهم وإذا مارغب واحد من باروناتى أو من الآخرين بإعطاء ابنته، أو أخته، أو حفيدته أو ابنة عمه (أو خاله) إلى أي انسان للزواج، واتصل بي حول الموضوع، إنني لن آخذ أي شيء منه مقابل الإجازة، كما أنني لن أمنعه من اعطائها للزواج، مالم يكن طالب الزواج رجلاً عدواً لي، وإذا مامات واحد من باروناتى أو من الآخرين، تاركاً ابنة لتكون وريثة له، إنني سوف أعطيها للزواج مع ميراثها، بموافقة من باروناتى، وإذا مامات الزوج، وبقيت الزوجة حية من دون أولاد، إنها سوف تنال مهرها مع حقها بالزواج، كما أنني لن أزوجهما ضد رغبتها وإرادتها، لكن إذا بقيت الزوجة حية ولديها أولاد فإنها سوف تحصل على مهرها وحقها بالزواج، وذلك أثناء محافظتها على شخصها وفقاً للقانون، كما أنني لن أزوجهما ضد إرادتها، وسوف تبقى أراضى الأطفال تحت وصاية الزوجة، أو تحت وصاية واحد من الأقرباء المقربين وذلك وفقاً للعدل والحق، وإنني أمر أتباعي بالتصرف بأنفسهم وفق الطريقة نفسها نحو أبناء وبنات وزوجات أتباعهم.

وبالنسبة للنقود التي هي بالاستخدام العام، والتي أخذت خلال المدن والمناطق، والتي لم تكن كذلك في أيام الملك إدوارد، إنني ألغيتها تماماً وأحرمها، وإذا ما ألقى القبض على أي واحد سواء من المالىين أو الآخرين، ومعه أموال مزيفة، لندع العدالة تأخذ مجراها نحوه وفقاً للقانون، وإنني ألغى جميع دعاوى الاستئناف والديون التي كانت حقاً لأخي الملك، باستثناء مزارعي، وأيضاً باستثناء ما هو معين لورثة الآخرين، أو للأشياء التي تخص بشكل أكثر، الناس الآخرين، وإذا ما قام أي انسان بعمل أية صفقة حول ميراثه، إنني أعفو عن ذلك

وأغيه مع جميع التفريجات، التي جرى الاتفاق عليها من أجل المواريث الحقيقية، فإن ذلك سوف يلقي التثبيت من قبلي، لكن إذا مامنع بجراحة في الحرب، أو بالمرض، فلم يتمكن من ذلك أو من التصرف به، فإن زوجته أو أولاده، أو أبويه، وأتباعه القانونيين، سوف يتقاسمونه من أجل راحة نفسه، وذلك حسبما يرون أنه الأفضل، وإذا كان قد جرى تغريم واحد من بارونات أو أتباعي بغرامة، فإنه سوف يمنح كفالة رحمة من أجل ماله، مثلما كان يفعل في أيام أبي أو أخي، إنما وفقاً لدرجة الغرامة، كما أنه لن يكفر عنها، كما كان سيفعل في أيام أبي أو أخي، لكنه إذا ما اقترف خيانة أو جريمة، فإن تكفيره سوف يكون وفقاً للجريمة، ولقد جرى العفو عن جرائم القتل الماضية حتى يوم تنويجي، أما الجرائم التي سوف تقترف في المستقبل، فلسوف يكون التكفير عنها، وفقاً لقانون الملك إدوارد، وإنني أحتفظ بالغابات في أراضي، بموافقة جميع بارونات، وفق الطريقة التي احتفظ بها أبي، وإنني أتنازل إلى جميع الفرسان الذين يدافعون عن أراضيهم بالسلاح وأسمح لهم بالاحتفاظ بجميع الأراضي الموجودة في ممتلكاتهم، معفية من جميع ضرائب التاج، والهدايا إلى شخصياً، حتى إذا ما تحرروا من جميع المكوس الثقيلة، يمكنهم نيل الخبرة، في الفروسية والسلاح، ويكونوا جاهزين لخدمتي، وللدفاع عن المملكة كلها.

إنني أقيم السلم خلال جميع ممتلكاتي، وأمر بمراعاته منذ الآن فصاعداً، وأعيد إليكم قانون الملك إدوارد، مع التحسينات والاصلاحات التي عملها أبي بموافقة البارونات، وإذا كان أي انسان قد استولى على أي شيء لانسان آخر منذ وفاة أخي الملك وليم، عليه إعادة ذلك بكل سرعة ودونما تغيير، إنما إذا ما احتفظ أي انسان بأي جزء من ذلك، وسوف يتم العثور على ذلك، فلسوف يدفع غرامة كبيرة لي مقابل ذلك.

شهد على ذلك التاليين: موريس أسقف لندن، ووليم المنتخب لونكستر، وجبرارد أسقف هيرفورد Hereford، وإيرل هنري، وإيرل سيمون، وإيرل وولتر جيفورد Gifford، وروبرت دي مونتفورد، وروجر بيغود Bigod، مع آخرين كثير.

وقد جرى عمل نسخ كثيرة من هذه الوثائق، بقدر مناطق انكلترا، وبناء على أوامر الملك، جرى وضعهم في ديرة كل منطقة للذكرى.

عودة أنسلم رئيس أساقفة كانتربري إلى إنكلترا

وهكذا جرى تتويج الملك هنري، وإثر ذلك أعطى أسقفية ونكستر إلى وليم جيفورد، وقام على الفور بمنحه جميع الممتلكات العائدة إلى الكرسي الأسقفي، وذلك بشكل يتعاكس مع شروط المجلس الجديد التي ذكرناها أعلاه، ثم إنه قام بناء على نصيحة الكنيسة الانكليزية كلها، بإرسال سفارة مهيبة إلى الخارج إلى أنسلم، رئيس أساقفة كانتربري، لدعوته بإخلاص للعودة بدون تأخير، حتى يقوم بتملك كرسيه الأسقفي.

وفي الوقت نفسه كان الدوق روبرت، أخو الملك، قد أكمل بشكل مجيد حجه إلى القدس، وقد عاد إلى نورماندي، بعد غياب خمس سنوات، وقد استقبل بسرور وتشريف من قبل جميع رعيته، وكان الملك في ذلك الحين لديه في السجن رالف [Flambard] أسقف درم، فهو قد كان رجلاً منحرفاً بأخلاقه، جاهزاً لإقتراف كل نوع من أنواع الشرور، لإزعاج انكلترا كلها، وقد عين أسقفاً لدرم من قبل الملك وليم، ونظراً لاستعداده للتماشي مع ذلك الملك، عهد إلى جميع وكلائه في جميع أنحاء المملكة بالقيام بنهب، وتخريب، وتدمير ممتلكات كل انسان من أجل منفعة محاسب الملك وجايبه، لكن عندما مات ذلك الملك الظالم، وجرى تتويج هنري مكانه، قام الملك برميته بالسجن،

الذي منه هرب برشوته للحرس، وعبر إلى نورماندي، حيث حرك الدوق روبرت ضد أخيه.

وبعث الدوق برسائل خاصة إلى نبلاء انكلترا، أظهر فيها بأنه كان الابن الأكبر لوليم الذي استولى على انكلترا بسلاحه، وبهذا الادعاء طالب بعرش انكلترا لنفسه، وعندما سمع النبلاء بهذا، آثر كثير منهم الوقوف إلى جانبه، ووعدوه بالاخلاص والمساعدة، واستعد روبرت في الوقت نفسه للعمل على تحقيق دعواه، لكن بما أنه كان قد عاد للتو من الحج، أجل نواياه لبعض الوقت، حتى تنهياً الفرصة المناسبة.

ومات في السنة نفسها توماس رئيس أساقفة يورك، وقد خلفه جيرارد، وأوصل سيغيبيرت Sigisbert راهب غيمبلور Gem-blours تاريخه الذي كتب بشكل أنيق، إلى هذه السنة الحالية.

فضائل الدوق غودفري وموته المبكر

ومات في السنة نفسها البابا أوربان، وقد خلفه باسكال، الذي جلس ثمانية عشر عاماً على كرسي روما، وقام في السنة نفسها غودفري، ملك القدس، بتحرير من بعض بارونات، بعبور نهر الأردن، وبعدما جمع أسلاباً كثيرة من بلاد العموريين، التي كانت مسكونة من قبل العرب، عاد إلى مملكته منتصراً، وقد أثار هذا الهجوم واحداً من كبار الأمراء العرب، وكان قوياً، ومقاتلاً قديراً، فقام هذا في البداية بالحصول على إذن وأمان من الدوق بإرساله رسولاً إليه، ثم قدم إلى زيارة غودفري مع حاشية من النبلاء من أهل بلاده، ذلك أنه سمع أخباراً عن قوة وأبهة الملك وشعب الغرب، الذي أخضع مناطق شاسعة بالطول والعرض في الشرق، وبما أنه كان يتحرق بالرغبة لرؤيته، مثل في حضرته، وحياء باحترام، وبعدما نظر بإعجاب لبعض الوقت إلى المظهر الخارجي لجسم الملك، طلب منه بإلحاح شديد أن يريه قوته باستخدام

سيفه على جمل كان قد جلبه معه لهذه الغاية، وقام الملك — ليس من باب التبجح، بل من أجل أن يلقي الرعب في قلوب العرب — بسحب سيفه، وبضربة واحدة قطع رأس الجمل، وكأنه كان خيطاً، واندesh العربي تجاه هذا المشهد، لكنه عزا ذلك في ذهنه إلى أن سيفه كان حاداً، ثم إنه حصل على إذن بالكلام، وهنا سأل الملك عما إذا كان يمكنه فعل الشيء نفسه بسيف انسان آخر، فابتسم الملك وطلب من الأمير اعارته سيفه، حيث به قطع رأس جمل آخر من دون أدنى صعوبة، وفعل ذلك فوق البقعة نفسها، وبذلك وجد العربي أن الأخبار عن قوة الملك كانت صحيحة، فأعطاه كثيراً من الهدايا من الذهب والفضة، والخيول، وأشياء أخرى ثمينة، وبعدها ضمن صداقته، عاد إلى قومه، حيث حدث كل واحد عن القوة المدهشة للملك.

وبعد هذا، أصيب الملك المجيد، في شهر تموز بمرض غير قابل للشفاء، وبعدها تلقى قربان الخلاص، لفظ آخر أنفاسه، وهو يردد اسم المسيح حتى يتمتع بسعادة سرمدية مع الملائكة في السماء، وقد مات في الثامن عشر من تموز من هذه السنة الحالية، وقد دفن في كنيسة ضريح ربنا، تحت جبل الجمجمة، حيث قام خلفاؤه بتعيين مكان لأنفسهم للدفن، حتى اليوم الحالي، وبقيت مملكة القدس شاغرة لمدة ثلاث سنوات بعد موته، وتم أخيراً بقرار من جميع الأمراء والشعب، استدعاء اللورد بلدوين، الذي كان أخا غير شقيق للملك المتوفى، للقدوم لتسلم العرش، ولأن يحكم بعد أخيه، وذلك حسبما تطلبت العدالة.

كيف جرى تتويج بلدوين ملكاً على القدس وحول تقواه

في سنة ١١٠١م قدم بلدوين كونت الرها، وأخو الملك غودفري لأمه إلى القدس، ومسح وتوج ملكاً على القدس في يوم عيد ميلاد ربنا، وكان ذلك بيدي ديبرت البطريك، غير أن النبيل تانكرد لم ينس الإهانة التي كان قد تلقاها قديماً من بلدوين، المنتخب الآن ملكاً، والتي كنا قد

تحدثنا عنها من قبل، ولذلك حصل على إذن بمغادرة البلاد، وسلم إلى الملك الجديد مدينتي طبرية وحيفا اللتين تلقاهما أعطية من الملك غودفري، وعاد إلى أنطاكية، حيث جرى الترحيب به من قبل سكان المدينة، لأن بوهموند، أمير أنطاكية كان قد وقع بالأسر في مدينة ملطية، وهي إحدى مدن الجزيرة، وكان الذين أسروه هم الدانشمند الأتراك، ولم يكن قد استرد حريته بعد، وكان تانكرد قد تلقى دعوات متوالية لتسلم حكومة المدينة والشعب حتى يتحرر بوهموند، وقد قبل الدعوات أخيراً، وتسلم حكم المدينة والمنطقة.

وفي حوالي الوقت نفسه، عبر أيضاً الملك بلدوين الأردن، ونهب ودمر داخل العربية، واستهدف التجسس على المناطق الضعيفة للشعوب المجاورة، وانقض في إحدى الليالي فجأة على كتلة كبيرة من الترك، وأخذ كثيراً منهم على حين غرة وهم في خيامهم مع أزواجهم وأولادهم ومع جميع مقتنياتهم، واستولى على أعداد لم يسمع بمثلها من الجمال والحمير، هذا وقد نجا معظم الرجال على ظهور خيولهم السريعة، تاركين أزواجهم وأولادهم مع أثقالهم في أيدي الصليبيين، وعندما كان الملك على طريق عودته، وجد امرأة كانت زوجة واحد من كبار المقدمين، في آلام الوضع فأمر بوضع فراش لها، وزودها براوية من الماء، وبكثير من الحليب، وبيعض الخادמות للعناية بها، وعندما أعطها رداءه للفها به، تابع الزحف مع جيشه، وفي اليوم التالي، كان المقدم العربي القوي قلقاً على زوجته، فلحق بجيشنا، ووصل إلى المكان الذي كانت زوجته ممددة فيه، وقد دهش تجاه المشهد، وحمد انسانية الملك، وأثنى عليه حتى النجوم، ومنذ تلك اللحظة ارتبط باخلاص لتلبية كل متطلباته الضرورية.

كيف تزوج الملك هنري من ماتيلدا ابنة ملك الاسكوتلانديين

وعاد في السنة نفسها أنسلم رئيس أساقفة كانتربري إلى انكلترا،

وخطب ماتيندا ابنة ملكولم ملك الاسكوتلنديين، وكذلك ابنة الملكة القديسة مرغريت، إلى هنري، الملك الجديد لانكلترا، وبعد الاحتفال بالزفاف، لم يكن هناك اضطراب قليل في المملكة، وذلك بسبب روبرت دوق نورماندي، الذي قيل بأنه كان قادماً مع جيش كبير لاختضاع انكلترا، ولدى سماع الملك هنري بهذه الأخبار، أرسل قوة بحرية للتصدي إلى أخيه، لكن الجزء الأعظم من الجيش خضع إلى روبرت لدى اقترابه، وجاء الدوق للرسو في بورتموث في اليوم الأول من آب، وزحف الملك ضده مع جيش كبير، غير أن النبلاء لم يقبلوا هذا الخلاف بين الأخوين وعملوا صلحاً بينها وفق الشروط التالية: يتوجب على الملك أن يدفع ثلاثة آلاف مارك فضة كل سنة من الممتلكات الانكليزية إلى أخيه روبرت، وأنه إذا مامات واحد منهما من دون ورثة فإن الآخر سوف يخلفه في الممتلكات، وتأكدت هذه الشروط بأيمان اثني عشر نبياً من كل جانب، وبعدما بقي الدوق روبرت مع أخيه حتى عيد القديس ميكائيل (٢٩-ايلول)، عاد إلى بلاده.

وفي هذه السنة نفسها (الصحيح: ١٣-نيسان ١١١١) وصل هنري (الخامس) إلى عرش الامبراطورية الرومانية، وقد حكم لمدة خمس وثلاثين سنة.

وفي السنة نفسها أعطى الملك هنري أسقفية هيرفورد Hereford إلى واحد اسمه رينيلم Reinelm ، من دون عمل انتخاب، وقد نصبه باحتفال عام، مخالفاً قرارات المجمع الجديد.

المجمع الذي عقد في لندن وتجريد بعض رعاة الديرة

في سنة ١١٠٢، حاصر هنري ملك انكلترا قلعة أرونديل Arundel التي كانت منكاً لروبرت دي بلسمي Belesme، الذي احتفظ بها ضد موافقة الملك، وكانت قلعة من الصعب الاستيلاء عليها، فتولى بناء قلعة

أخرى من الخشب مقابلها، وفي تلك الأثناء حاصر قلعة بردجنورث Bridgenorth واستولى عليها، وأخيراً استسلمت قلعة أرونديل، وقام الملك بنفي روبرت دي بلسمي من انكلترا.

وعقد في السنة نفسها أنسلم رئيس أساقفة كانتبري مجمعاً في لندن في كنيسة القديس بولص في حوالي عيد القديس ميكايل، وكان الملك مع الأساقفة المساعدين بين الحضور، وجرى في هذا المجمع الحرمان كنسياً للكهنة الذين لديهم خليات، ما لم ينفصلوا عنهم على الفور، إنما وإن كان هذا نال رضا بعضهم، لم يوافق آخرون عليه، خشية أنه بممارسة معايير أخلاقية على سلطتهم، سوف يقعون في أمور لأخلاقية، ثم إنه عرض بلغة واضحة ماجرى رسمه في المجمع العام في روما وتقريره بشأن التعيينات في الكنائس، والمعني بذلك أن مامن رئيس أساقفة كنيسة، أو أسقف، أو راعي دير، أو كاهن يجوز أن يستلم أياً من المناصب اللاهوتية من يد رجل علماني، وبناء عليه قام رئيس الأساقفة أيضاً بتجريد بعض رعاة الدير الذين حصلوا على مراتبهم من أيدي رجال علمانيين، وعن طريق الشراء، وكان هؤلاء هم: رتشارد أوف إيلاي Ely، وألدوين أوف رمزي Aldwin of Ramsey، مع رعاة دير: بورغ Bourg، وتافيستوك Tavistock، وكرنلي Cernely، ومدلتون Middleton الذين لانتذكر أسماءهم، ولأنه رفض تكريس بعض الأساقفة ورسمهم بناء على أوامر الملك، لأنهم كانوا قد تسلموا مناصبهم من الملك، ولأنه رفض حتى الاتصال بهم، غضب الملك، فأمر جيرارد رئيس أساقفة يورك القيام بسيامتهم، لكن وليم جيفورد المنتخب لونكستر، والذي كان من المفترض السيامة من قبله، رفض السيامة من قبل جيرارد، فكان أن نفي من المملكة بموجب قرار الملك، وأعاد رينيلم أسقف هيرفورد، الذي نال منصبه من الملك، الأسقفية إليه.

كيف ذهب أنسلم رئيس أساقفة كانتربري إلى روما آخذاً معه رعاة الدير المجردين

في سنة ١١٠٣، بعدما تلقى أنسلم رئيس أساقفة كانتربري كثيراً من المكابذات والازعاجات من الملك، أخذ طريقه إلى روما، وقد اتفق مع الملك على أن يصطحب معه رعاة الدير المجردين ووليم المنتخب لونكستر، واستقبله البابا باسكال بلطف، وفي تاريخ يوم محدد قام وليم وورواست Warewast كاهن الملك والمسؤول عن شؤون ملك انكلترا، بعرض قضيته وسط أشياء أخرى، وأكد بكل حزم أنه لن يتخلى عن التنصيب في الكنائس، حتى لو أن ذلك سوف يكلفه فقدان مملكته، وأكد هذا الموقف الثابت بكلمات تهديد عرضها، وعلى هذا رد البابا قائلاً: «إذا كان كما تقول لن يتخلى ملكك عن تعيينات الكنيسة، ليبقي مملكته، مثل ذلك إنني لن أدعه يفعل ذلك مقابل حفظ حياتي»، وبذلك خسر الملك قضيته، وتدخل رئيس الأساقفة أنسلم لدى البابا من أجل رعاة الدير المجردين، لكي يمنحهم عفواً حتى يستردوا مناصبهم، ثم إن الكرسي المقدس، الذي لم يرفض عرض أي إنسان، إذا ما ارتبط ذلك بالذهب والفضة، توسط بين الفرقاء، وبرحمة أعاد الأساقفة ورعاة الدير المتقدم ذكرهم إلى مناصبهم السالفة، وأعادهم مسرورين إلى مقراتهم.

وفي السنة نفسها جرى حرمان روبرت دوق نورماندي من الثلاثة آلاف مارك التي كانت تدفع له سنوياً، وجاء ذلك ببراءة من أخيه، ولصالحه فقط.

كيف هلك كثير من النبلاء كانوا على طريقهم إلى القدس بخيانة من الامبراطور

همل في حوالي ذلك الوقت كثير من النبلاء من الغرب الصليب،

وانطلقوا يؤمنون القدس، تحت قيادة النبلاء الأقوياء: وليم دوق أكوتين، وهيوج الكبير كونت فيرومادا Viromada الذي كان قد عاد لتوه من الحج، وستيفن كونت تشارترز وبلوا، مع ستيفن كونت بيرغندي، ووصل هؤلاء مع حاشية كبيرة إلى القسطنطينية، وهم جميعاً يلتهبون حماسة، وجرى استقبالهم باحترام— لكن خداعاً— من قبل ألكسيوس، ووجدوا هناك كونت طولوز، الذي كان منذ أن حمل الصليب قد قرر عدم العودة إلى بلاده، وبعدها حصلوا على إذن الملك، جرت مرافقتهم من قبل كونت طولوز عبر البوسفور حتى نيقية في بيشنيا، ثم قام الامبراطور ألكسيوس، الخائن الشرير، الذي كان يشعر بالغيرة من نجاح رجالنا، فبعث برسائل إلى مقدمي الأتراك المسلمين، الذين من ديارهم كان الصليبيون على وشك العبور، وحثهم بالحاح على عدم السماح لمثل هذا الجيش الصليبي الكبير بعبور أراضيهم.

وكان الآن رجالنا يتصرفون من دون حذر، وكانوا لا يتوقعون أي شر، بل كانوا يزحفون على شكل فئات متفرقة، دون أن يكون هناك رابط بينهم، وبذلك ألقوا في أيدي الأتراك الذين كمنوا بانتظارهم، وقد جرى في ذلك اليوم مقتل أكثر من خمسين ألفاً منهم، أما الذين نجوا فوصلوا مجردين من كل شيء إلى طرسوس في كيليكية، حيث مات هيوج الكبير، ودفن في كنيسة رسول الأمم، ثم تابعوا سيرهم إلى أنطاكية، ومن هناك ساروا مسرعين يريدون القدس، وقد وصلوا طرسوس، حيث بعدما حاصروها لأيام قليلة استولوا عليها، فقتلوا سكانها أو حولوهم إلى عبودية دائمة.

كيف أخضع ملك القدس ثلاث مدن

ووصل في هذه الآونة اسطول كبير إلى يافا، وفي أيام عيد الفصح ذهب من كان فيه إلى القدس، وتمكن الملك بلدوين بمساعدتهم من محاصرة المدن الساحلية التالية والاستيلاء عليها وهي: أرسوف، فبعدها

استولى على الحصن الذي فيها، زحف إلى قيسارية، التي استولى عليها، بعد صعوبات جمّة، فقتل السكان، ووزع أسلاباً كثيرة بين رجاله، وكان في واحد من أجزاء المدينة مسجد لله، إليه هرب الناس للأمان، لكنهم اقتحموه وأعقب ذلك مذبحه هائلة للذين كانوا في داخله، وكانت مذبحه مرعبة أن تنظر إليها، ووجدوا في ذلك المسجد وعاء لونه أخضر، على شكل صحن، وقد أخذه الجنويون عادّيته من الزمرد، وقد أخذوه مقابل مبلغ كبير من المال، وقدموه بمثابة هدية ثمينة لكنيستهم، وجرى استدعاء أمير المدينة، وقاضيها إلى حضرة الملك، ووضعها في أغلال الحديد، لاستخراج أكبر فدية ممكنة منها، ثم عين الملك رجلاً اسمه بلدوين ليكون رئيس أساقفة للمدينة، وكان بلدوين هذا ممن قدموا مع الدوق غودفري، وبعدهما ترك فيها شحنة عسكرية كبيرة تكون مسؤولة عن المدينة، زحف مسرعاً نحو الرملة.

وفي تلك الآونة كان خليفة مصر قد أرسل أمير جيوشه ضد بلدوين مع أحد عشر ألفاً من الفرسان وعشرين ألفاً من الرجالة، وأمره بطرد الرعاع الصليبيين من ممالكه، وذلك حسب عباراته، وتوجه الملك بلدوين من دون خوف للتصدي إليهم مع مائتين من الفرسان، وتسعمائة من المشاة، وبعون من الرب، انقض على العدو، وألحق به الهزيمة، وطارده حتى عسقلان، وظل يقتل برجاله حتى مسافة ثمانية أميال، وعسكر الصليبيون المنتصرون في تلك الليلة في ميدان المعركة، وجرى قتل خمسة آلاف من جانب الأعداء، أما من جانبنا فالذين قتلوا كانوا سبعين فارساً، وأكبر من هذا العدد من الرجالة، غير أن هذه الأعداد ليست مؤكدة تماماً، ووصل في الوقت نفسه أمراء الغرب الذين تقدم ذكرهم إلى القدس وخرج الملك إلى استقبالهم، ورافقهم مع كثير من السرور إلى داخل المدينة المقدسة.

كيف أخلى الملك هنري مناطق أخيه روبرت من سكانها

في سنة ١١٠٤م تفجر خلاف لأسباب محددة بين الملك هنري وروبرت دوق نورماندي وأرسل الملك إلى مناطق أخيه قوة مسلحة، تعاونت مع بعض الخونة من رعية الدوق فاقترفت كثيراً من أعمال الدمار خلال تلك المنطقة، وأظهر وليم كونت أوف مورتين Mortaine الذي كان قد نفي من انكلترا لتوه من قبل الملك، بسبب الخيانة، نفسه رجلاً شجاعاً، وحمل السلاح ضد عساكر الملك، وقام الدوق روبرت، وقد خشي من قوة أخيه، فحصن قلاع مع جميع النقاط الضعيفة في أراضيه إلى أقصى حد ممكن بقدرته، وظهر في السنة نفسها في الجنوب أربع دوائر بيضاء حول الشمس.

كيف جرى منع رئيس الأساقفة أنسلم من العودة إلى انكلترا

ووصل في تلك الآونة رئيس الأساقفة أنسلم إلى ليون لدى عودته من روما، وقام وليم دي وورواست المشرف على شؤون ملك انكلترا، والذي ذكرناه أعلاه، بمنعه من العودة إلى انكلترا ثانية باسم الملك، مالم يعد بإخلاص بمراعاة جميع الامتيازات المعتادة لأبيه وأخيه، وعجب أنسلم لدى سماعه بهذا، عارفاً بأنه قد غادر انكلترا وفق شروط أخرى مختلفة تماماً، وبناء عليه، لدى وصوله إلى ليون بقي مع هيوغ رئيس أساقفة تلك المدينة، معطياً اهتمامه إلى الخشوع والتدين، وعندما رأى الملك هنري أن البابا ورئيس الأساقفة كانا غير مرتين معه، وضع رئاسة الأسقفية بين يديه، وصادر جميع ممتلكات أنسلم.

حول تركي تلتطف فساعد على نجاة الملك بلدوين

وفي حوالي هذه الآونة قام العرب والمصريون بالدخول إلى الحدود الصليبية قرب اللد، وسارونا، والرملة، وقد بلغ تعدادهم عشرين ألفاً، وقد ركزوا جهودهم على السلب والنهب، ولدى سماع الملك بلدوين

بهذا، تصرف بطيش غير معتاد، ذلك أنه أهمل استدعاء القوات من المدن المجاورة، وقام وهو واثق بشجاعته ومعتمد عليها بمهاجمة الأعداء مع قرابة المائتي فارس، الذين كانوا أدنى من أن يتمكنوا من الوقوف في وجه مثل ذلك الحشد العظيم من المسلمين، ولذلك قتل أغلبهم، ولاذ البقية بالفرار، والتجأ الذين هربوا إلى بلدة الرملة، وسقط في تلك المعركة كل من النييلين اللذين اسميهما ستيفن ممن وصل حديثاً، وذلك إلى جانب عدد كبير آخر من النبلاء، الذين دونت أسماؤهم في كتاب الحياة، ومع أن الملك لم يكن كبير الاعتماد على الرملة ودفاعاتها، فقد لجأ إليها لانقاذ حياته، وكان متوقفاً أن يحاصر من قبل الأعداء، لكن في سكون الليل المظلم، حدث فجأة أن اقترب الأمير العربي من المدينة، وهو الأمير الذي - كما ذكرنا من قبل - أبدى الملك كثيراً من اللطف نحو زوجته، عندما كانت في آلام المخاض، وبعدما اقترب من البلدة صرخ بصوت منخفض إلى الحرس الذين كانوا على الأسوار، وقال: «لدي رسالة سرية إلى الملك، دعوني أمثل في حضرته»، وعندما مثل أمام بلديين، وعده باقتياده إلى مكان أمين، إذا ماغادر المدينة مع حرس قليل فقط، ودون إثارة أية ضجة، لأن العرب قد قرروا مهاجمة البلدة، في اليوم التالي، واقتنع الملك أخيراً بمغادرة البلدة، وبتوجيه من صديقه وإرشاده، هرب إلى الجبال، ولدى مغادرة الأمير العربي، وعده بأنه سوف يقدم الطاعة إليه في أول فرصة مناسبة، ونجا الملك مع اثنين من مرافقيه فقط من خلال وسط الأعداء إلى أرسوف، حيث استقبل بسرور من قبل شعبه، ونال بعضاً من الراحة بعد التعب الذي عانى منه.

وحاصر العرب المنتصرون في اليوم التالي الرملة، وقتلوا أو استعبدوا الحامية العسكرية التي كانت فيها، وفي الوقت ذاته التحق هيوغ أوف سانت أومر، الذي إليه منح الملك مدينة طبرية، التحق به في أرسوف

مع ثمانين فارساً، وبذلك قويت صفوف بلدوين، فأخذ معه رجال يافا مع تسعين فارساً، وزحف للتصدي للعدو مع ثقة كبيرة بالنجاح، وبالرد عليه والانتقام منه للأضرار التي ألحقها به، وكان الأعداء حوالي ثلاثة آلاف من حيث العدد، وقامت قوات الملك، وهي تتمتع بالقوة من عليين بالمجوم عليهم بشدة، فمزقت صفوفهم، وقتلت عدداً كبيراً منهم، وأرغمت البقية على الفرار، ثم رجع جيش الصليبيين إلى معسكر الأعداء، حيث حصلوا على غنائم من الحمير والجمال، والسراقات، والخيام والمؤن، وقد بقوا بعد ذلك بهدوء لمدة سبعة أشهر تقريباً.

وفي حوالي الوقت نفسه حاصر اللورد تانكرد أفاميا واستولى عليها، وأفاميا هي عاصمة سورية المجوفة، وزحف بعد ذلك ضد اللاذقية، واستولى عليها أيضاً، وامتلك كلتا المدينتين مساحات واسعة من الأراضي مع بلدات وأحواز واسعة، وفي الوقت نفسه بعدما بقي بوهيموند أربع سنوات بالأسر، فدى نفسه، وعاد إلى أنطاكية.

استسلام عكا إلى الملك بلدوين

وفي السنة نفسها ألقى بلدوين الحصار على مدينة عكا البحرية في فينيقية، وكان لهذه المدينة ميناء في كل من داخل أسوارها وفي خارجهم، حيث يمكن للسفن البقاء والتحرك بأمان، ويقال بأنها تأسست من قبل أخوين هما: بطليموس وعكون، وكانا قد إقتسماها فيما بينهما، وحصنها بأسوار قوية وسميها بطوليس اشتقاقاً من اسم الأول منهما، وعكون من اسم الثاني منهما، وحوصرت هذه المدينة الآن من قبل الملك مع أمراءه من جهة البر، في حين قطع الاسطول الجنوي والسفن المنقارية، التي اسمها غلايين، جميع اتصالات المدينة من جهة البحر، وأقيمت الآلات من حول الأسوار، وجرى قتل أعداد كبيرة من السكان بوساطة الحملات المتوالية التي تمت ضدهم بوساطة كل من الجيش والأسطول، وبعد قتال استمر عشرين يوماً استسلمت المدينة على شرط أن جميع من

سيختارون مغادرتها يمكنهم بأمان فعل ذلك مع أزواجهم وأولادهم ومقتنياتهم، وأن جميع الذين سوف يختارون البقاء عليهم أن يدفعوا جزية سنوية إلى الملك، وبالتالي البقاء تحت حمايته.

وبهذه الحادثة منح الحجاج الذين يزورون الأرض المقدسة بحراً، إمكانية الوصول بأمان بعدما جرى تنظيف الساحل جزئياً من الأعداء، وعبر في السنة نفسها بوهيموند، والكونت بلدوين، وتانكرد، وجوسلين مع جميع فرقهم، الفرات، وألقوا الحصار على مدينة حران، التي عنها نقرأ في حياة ابراهيم، ولأن السكان لم تتوفر لديهم آمال بالمساعدة، عرضوا تسليم المكان ولكن نشب خلاف بين بوهيموند وبلدوين حول من سيملك المدينة، ولذلك أخروا الاستيلاء عليها حتى الصباح، حتى يتمكنوا من تسوية هذه المسألة الصعبة، وقبل فجر النهار كانت هناك كتلة كبيرة من الترك تزحف لنجدة سكان المدينة، حتى أنه لم يبد هناك أمل أمام رجالنا بالنجاة، وحثهم البطريكان اللذان كانا حاضرين على أن يكونوا شجعاناً، لكن هؤلاء الذين فارقتهم نعمة الرب، كان لا يمكن مساعدتهم بالكلمات أو بالتذكير، ومع الحملة الأولى أداروا ظهورهم بخزي وتخلوا عن كل من المعسكر والأثقال، وعبثاً حاولوا انقاذ أنفسهم بالفرار، ووقع هناك بالأسر بلدوين كونت الرها مع أخيه جوسلين، لكن بوهيموند وتانكرد، مع البطريكين نجوا سالمين إلى الرها، ووضعت سلطة هذه المدينة مع مقاطعتها كلها الآن بين يدي اللورد تانكرد وذلك حتى يتم تخليص بلدوين من الأسر.

حول العمل الخالد للملكة ماتيلدا

في سنة ١١٠٥م، عبر هنري ملك انكلترا إلى نورماندي للقتال ضد أخيه الدوق روبرت، واستولى بمساعدة كونت أوف أنجو على كين Caen وبايوكس Bayeux وعلى قلاع أخرى كثيرة، وخضع تقريباً جميع البارونات النورمان إليه، وقدم في الوقت نفسه داوود أخو الملكة

ماتيلدا إلى انكلترا لزيارة أخته، وذهب في احدى الليالي لزيارتها في جناحها، بناء على دعوتها، فوجد البيت مليئاً بأناس مجذومين، والملكة واقفة في الوسط حيث كانت تغسل، وتمسح وتقبل أقدامهم، وسألها أخوها عما كانت تفعله، وقال: «من المؤكد أن الملك إذا ما علم بهذا هو لن يضع شفتيه على شفتيك، بعد تقييلك لهؤلاء الناس المجذومين»، وردت الملكة عليه وهي تبسم: «إن قدمي الملك السرمدي مفضلة لدى شفتي الانسان الفاني، ولقد أرسلت وراءك يا أخي حتى تتعلم وتحذوا حذوي، وأن تفعل الذي رأيتني أفعله»، فرد عليها أخوها أنه من المؤكد لن يفعل مارآها تفعله، وبناء عليه استأنفت الملكة عملها، وتركها أخوها وهو يضحك، وعاد في السنة نفسها الملك هنري إلى انكلترا بعد تسويته لأعماله الضرورية في نورماندي.

كيف أخذ الملك هنري أخاه أسيراً على أرض المعركة

سنة ١١٠٦م، جاء روبرت دوق نورماندي إلى أخيه في نورثامبتون، وسأله بطريقة لطيفة، أن يجدد العهد الأخوي الذي خرق، لكن الرب لم يسمح لهما أن يكونا صديقين، فعاد الدوق غاضباً إلى نورماندي، فلحق به الملك وألقى الحصار على قلعة تشبري Tenchebrai، وكان معه تقريباً جميع نبلاء نورماندي وأنجو مع نخبة انكلترا وبريتاني، حتى يتمكن من قهر أخيه تماماً، وبناء عليه زحف الدوق روبرت لرفع الحصار ومعه روبرت دي بلسمي، وإيرل مورتون Moreton مع مشايعين آخرين، وعندما زعق البوق حمل جيشه الصغير بشجاعة على الأعداء الذين كانوا أكثر منه بكثير، وبما أن الدوق نال خبرة في القتال في الأرض المقدسة، فقد تمكن من مهاجمة عساكر الملك وردهم، ودفع وليم إيرل مورتون الجيش الانكليزي إلى الخلف من نقطة إلى نقطة، وكاد أن يهزمه، لكن هنري مع رجالته منعه من الهزيمة وجعله يعود إلى القتال، وبعد مرور بعض الوقت حملت قوة الفرسان البريطانيين على

عساكر الدوق، فخرقت صفها، وتمكنت بتفوقها العددي من طردها من الميدان، وفي هذه المعركة ميز وليم دي أوبني Aubeny وهو بريطاني، نفسه بشكل خاص، فهو الذي جلب المعركة إلى النهاية بفضل شجاعته الشخصية ووقع الدوق النورماندي الشجاع بالأسر مع وليم إيرل مورتون، وتمكن روبرت دي بلسمي من النجاة عندما شاهد رفيقيه يؤسران.

وبهذه الهزيمة انتقم الرب لنفسه من روبرت لرفضه مملكة القدس، ولاختياره العيش بنعومة وسهولة في الوطن بدلاً من خدمة الذي يحكم الملوك جميعاً، في القدس، وكعلامة على هذه الحادثة، ظهر في السنة نفسها، مذنب على بعد ذراع واحد من الشمس، واستمر ذلك من الساعة الثالثة حتى الساعة التاسعة، وجرّ وراءه ذيلاً طويلاً من الضوء، كما جرت مشاهدة قمرين كاملين في يوم عشاء ربنا، وكان أحدهما في الشرق وثانيهما في الغرب، وبذلك تحقق ما قاله الملك وليم، وهو على فراش موته، لابنه هنري، الذي سأله بعدما أعطى انكلترا إلى وليم، ونورماندي إلى روبرت وقال له: « وما الذي أعطيتني إياه يا والدي؟ » فأجابه أبوه: « لقد أعطيتك خمسة آلاف باوند من الفضة من خزيتي، » فقال هنري: « لكن ما الذي سوف أفعله بالمال، إذا لم يكن لدي مكان أسكن فيه؟ » فقال الملك: « كن صبوراً يا ولدي، وثق بالرب، ودع أخويك يتقدمان عليك، فأنت سوف تحصل في الوقت المناسب على جميع التشريف الذي حصلت أنا عليه، ولسوف تتفوق على أخويك بالثراء والسلطان.»

كيف تصالح الملك هنري مع رئيس الأساقفة أنسلم

سنة ١١٠٧م، وبعدما استطاع الآن الملك هنري تدمير جميع أعدائه، وانزاهم إلى درجة الخضوع له، وبعدما جعل نورماندي تخضع لإرادته، ذهب إلى بك Bec، وبوساطة من الأصدقاء التقى برئيس الأساقفة

أنسلم، الذي — بناء على طلب الملك — عاد إلى انكلترا، واستأنف إدارة كرسيه الأسقفي، وعاد هنري بعده بقليل إلى انكلترا، حيث وضع أخاه روبرت ومعه وليم كونت مورتون في السجن مدى الحياة، وأضفى الرب القدير المنح التالية على الملك هنري، وهي: الحكمة، والنصر، والثروة، التي بها نجح في كل شيء، وتفوق على أسلافه.

وكان في السنة نفسها هناك اجتماع للأساقفة، ورؤساء الدير، والنبلاء في لندن، في قصر الملك، تحت رئاسة رئيس الأساقفة أنسلم، حيث رسم الملك في هذا الاجتماع أنه من ذلك الحين فصاعداً، مامن أسقف أو راعي دير يجوز أن يتسلم السيامة بالعصا والخاتم، من يدي الملك أو أي انسان علماني، ومن الجانب الآخر تنازل رئيس الأساقفة وقبل أنه لا يجوز رفض سيامة أي واحد، جرى انتخابه إلى منصب ما، وذلك بسبب الولاء الذي عمله للملك، وجرى في السنة نفسها سيامة وليم أسقف ونكستر، وروجر أوف سالسبري، ورينلم Reinelm أوف هيرفورد، ووليم اكستير Exeter ، وأوربان أوف غلاموران Gla-morgan، وأنسلم رئيس أساقفة كانتبري، في كانتبري، في يوم الأحد الحادي عشر من آب، وفي حوالي الوقت نفسه مات موريس أسقف لندن، مؤسس كنيسة القديس بولص، وادغار ملك الاسكوتلنديين، الذي خلفه أخوه الاسكندر.

كيف جرت خلافة جيرارد رئيس أساقفة يورك من قبل توماس

سنة ١١٠٨م، فيها توفي جيرارد رئيس أساقفة يورك، وقد خلفه توماس، حاجب الملك، حيث جرت ترقيته إلى الكرسي الشاغر، لكن ما أن جرى انتخابه حتى اعترض أنسلم رئيس أساقفة كانتبري على ممارسته واجباته الأسقفية حتى يتولى تقديم الطاعة الدينية والقانونية نفسها، التي قدمها من قبله سلفاه: توماس وجيرارد، وذلك وفقاً للعادة القديمة، وقال أنسلم له: « وإذا لم توافق على هذا، فإننا نمنع جميع

أساقفة بريطانيا، تحت تعرضهم لعقوبة الحرمان الكنسي، إذا وضعوا أيديهم عليك، أو قبلوا بأن تكون رئيس أساقفة، على افتراض أنك سوف تحصل على السيامة من الخارج»، وفي السنة نفسها، جرت سيامة رتشارد دي بومي Beaumeis المنتخب للندن، وتكريسه من قبل أنسلم في باكنهام، بحضور كثير من أساقفته المساعدين، وفي حوالي الوقت نفسه خلف لويس فيليب على عرش فرنسا.

موت القديس أنسلم رئيس أساقفة كانتبري

سنة ١١٠٩م، فيها مات أنسلم رئيس أساقفة كانتبري، والفيلسوف المسيحي، وحدثت وفاته أثناء الصوم الكبير، وكانت حياته اللاحقة، وأعماله المتميزة، وموته قد تبعها معجزات متوالية، بها جرى حث خلفاءه على أعمال الرحمة.

وأرسل في السنة نفسها هنري، امبراطور روما، سفراء يطلبون للزواج ماتيلدا ابنة الملك، وبناء عليه عقد الملك بلاطه في وستمنستر، أثناء عيد العنصرة، مع أهبه عظيمة، كانت أكبر مما كان في أية مناسبة متقدمة، حيث قبل اقتراح الامبراطور، وزوج ابنته ببضع كلمات بسيطة، وأخذ ثلاث شلنات، حسب عادة الملوك الانكليز — من كل هايد Hide من البلاد خلال انكلترا.

وفي السنة نفسها، وبناء على أوامر الملك، اجتمع رتشارد أسقف لندن، ووليم أسقف ونكستر، ورالف أسقف روكستر، وهيربرت أسقف نوروك Norwick ، ورالف أسقف تشستر، ورالف أسقف درم، وهيرفي أسقف بنغور Bangor ، اجتمعوا مع بعضهم في ٢٧—حزيران، في كنيسة القديس بولص، لسيامة توماس المنتخب ليورك، وعندما اعترف توماس بالطاعة القانونية لرئيس أساقفة كانتبري، وخلفائه، جرت سيامته من قبل رتشارد أسقف لندن، وفي

السنة نفسها رُفِعَ دير إيلاي Ely إلى كرسي أسقفي، وعمل هنري أول أساقفتها، لأن رتشارد، آخر رؤساء الدير في الجزيرة كان ميتاً، وأخذت كمبردج الآن من أسقف لنكولن، وأعطيت لتكون أبرشية للأسقف الجديد، وفي حوالي الوقت نفسه ولدت خنزيرة خنزيراً له وجه إنسان، وولد فروج بأربعة أرجل.

كيف عاث بوهموند فساداً في أراضي الامبراطور الكسيوس

وفي هذه الآونة، قام بوهموند أمير أنطاكية، وهو يحمل في ذهنه، الأذى الذي تسببه الامبراطور الشرير الكسيوس، وأنزله دوما بالذين عملوا الحج إلى القدس، فأراد الانتقام للقضية العامة، فأغار على أراضيه مع خمسة آلاف من الفرسان، وأربعين ألفاً من الرجال، ونهب تقريباً جميع المدن الساحلية، وكذلك إيبروس الأولى والثانية، وحاصر أخيراً ديراخيوم، التي كانت عاصمة منطقة ايبروس الأولى، وعاث فساداً في المنطقة كلها بالنار والسيوف، ولدى سماع الامبراطور بذلك جاء مع جيش كبير للدفاع عن رعاياه، لكن بوساطة الأصدقاء، أعيد السلام بينهما، وجرى الاتفاق وتأكيد بالأيمان أن الامبراطور سوف يؤمن مرور الحجاج بمساعدتهم بكل طريقة ممكنة، وبناء عليه زحف بوهموند إلى أبوليا حيث استدعي لقضاء عمل خاص هناك، وجمع في الصيف التالي قوة كبيرة من العساكر ليعود إلى أنطاكية، لكنه وقع مريضاً ومات، مخلصاً ولدأ، أيضاً اسمه بوهموند، ولد له من كونستانس ابنة فيليب ملك فرنسا.

وفي تلك الآونة نفسها مات الملك اللامع فيليب، وقد خلفه ابنه لويس، الذي كان في الثامنة والعشرين من عمره، وفي حوالي ذلك الوقت جرى اطلاق سراح بلدوين مع أخيه جوسلين من الأسر التركي، وجرى تقديم رهائن من أجل تحريرهم، لكن حدث بعد عدة أيام أن قتل الرهائن حراسهم وعادوا إلى أصدقائهم، ووصل في السنة

نفسها برتراند كونت طولوز، وابن الكونت ريموند إلى مدينة طرابلس مع اسطول جنوي واستولى على جبيل، التي هي مدينة ساحلية في فينيقيا، وتمكن بوساطة أعمال المحاصرة وبمساعدة ذلك الاسطول الجنوي من السيطرة على منطقة طرابلس، وقد منحها إلى برتراند.

كيف نفى الملك هنري بعضاً من أعدائه

سنة ١١١٠م، فيها حرم الملك هنري فيليب دي بروس Brause، ووليم مالت، ووليم بينارد Binard مع آخرين كانوا خونة بالنسبة له، من مواريثهم، وأعدم كونت هلياس Helias الذي انتزع منه منطقة مين، ولدى سماع جيوفري كونت أوف أنجو بهذا، استقبل ابنة هلياس المذكور، وتسلم منها المنطقة، واحتفظ بها على الرغم من ارادة هنري.

وقام في السنة نفسها رتشارد رئيس دير القديس ألبان، وسط سرور عارم لرجال الدين والشعب، بنقل الآثار الثمينة للملك أوسين Os-win المجيد والشهيد، إلى الكنيسة الجديدة للقديسة مريم في تينياوث Tynemouth، وذلك من البيعة القديمة لأم الرب المقدسة نفسها، حيث تمّ العثور على جسده المقدس أولاً، ووضع في مزار، وعمل هذا النقل في يوم آلام الشهيد، أي في الثالث والعشرين من آب، وفي هذه السنة نفسها زوّج الملك هنري ابنته إلى امبراطور ألمانيا].

وفي هذه السنة نفسها، بدأ أيضاً القديس غودريك Godric حياة التنسك في فنشلي Finchale ، واستمر بها بطريقة محمودة لمدة أربعين سنة، حين تحرر من الجسد، ودخل قصرأ في السماء هناك ليتمتع بسعادة أبدية مع القديسين فوق.

وظهر في هذه السنة أيضاً مذنب بطريقة غير اعتيادية، ذلك أنه وإن أشرق من الشرق، وارتفع نحو السماء، بدا وكأنه لا يتحرك نحو الأمام بل نحو الخلف.

وفي حوالي هذا الوقت نفسه، أخضع بلدوين ملك القدس بيروت بقوة السلاح، وهي مدينة ساحلية في فينيقيا، وأضافها إلى الممتلكات الصليبية، وهي واقعة بين جبيل وصيدا.

كيف عاث الملك هنري فساداً بشده في أراضي كونت أنجو

سنة ١١١١م، عبر الملك هنري إلى نورماندي، وهاجم كونت أوف أنجو، الذي استولى على مين التي كانت تابعة له، ضد ارادته، وعاث فساداً في أراضيه من كل جانب بالسيف والنار، [وكان في هذا الوقت موتان كبير للحيوانات، ومجاعة شديدة في نورماندي، ووضع أيضاً هنري الملك الألماني البابا باسكال في السجن].

حول القديسة فرايدسوايد وبناء كنيستها

وأعطى في حوالي الوقت نفسه روجر أسقف سالسبري مكانا في أكسفورد، حيث كانت العذراء القديسة فرايد سوايد Frideswide مدفونة، إلى راهب نظامي اسمه ويموند Wimund الذي شكل هناك جماعة من الرهبان النظاميين، تحت نظام مقرر، وكان هو أول رئيس لهم، وكان المكان في الأيام الخالية مكرساً للاستخدام من قبل الراهبات، وذلك صدوراً عن الاحترام لتلك القديسة التي رفضت المتعة الأرضية من أجل المتعة في السماء لتكون عروساً هناك، وذلك أن ابناً لأحد الملوك رغب في الزواج من هذه العذراء، واستخدم عبثاً كل الوسائل والمغريات، ثم حاول أخيراً استخدام القوة، وأدركت فرايد سوايد نواياه، فهربت بشكل سري إلى الغابة، غير أنها لم تنج من محبتها، الذي كان مستنفراً لمعرفة إلى أين ذهبت، وبناء عليه هربت العذراء أثناء الليل، وجعلت الرب دليلها، فوصلت إلى أكسفورد، وعندما وصل محبتها المتعنت إلى هناك، يئست من النجاة، وكانت منهكة وغير قادرة على متابعة السير، فدعت إلى الرب حتى يحميها ويعاقب مطاردها،

وكان الشاب قد دخل إلى المدينة مع أتباعه وعندها أصيب بالعمى بضربة سبوية، فأدرك أنه قد عوقب بسبب عناده، فأرسل إلى فرايد سوايد، ورجاها التوسط له عند الرب، ودعت العذراء إلى الرب، وبوساطة دعواتها استرد الشاب بصره بسرعة مثلما كان من قبل أن أصيب بالعمى، ولهذا السبب يخاف ملوك انكلترا دوماً من الدخول إلى تلك المدينة، لأنه قد قيل بأنها قاتلة لهم، وهم لا يرغبون في تجريب الحقيقة على حساب تعرضهم للخطر، وبنت العذراء ديراً هناك، وترأست هي شحصياً على مجموعة من العذراوات التقيات اجتمعن هناك، وكان هذا الدير قد التهمته النيران في أيام الملك إيثلرد Eth-alred مع الدانيين Danes الذين هربوا إلى هناك للإلتجاء، عندما حكم على جميع رجال تلك الأزمة بالموت، وبعد مرور وقت قصير أعيدت عمارته من قبل الملك نفسه، وقد أوقف عليه كثيراً من الممتلكات.

ومات في هذه السنة روبرت كونت فلاندرز، الذي ميز نفسه كثيراً في الحج إلى القدس، ولذلك سوف يظل اسمه مذكوراً إلى الأبد، وصار ابنه بلدوين كونتاً بعده.

وفي هذه السنة نفسها، تمت محاصرة صيدا، الواقعة على ساحل البحر، وجرى الاستيلاء عليها من قبل الملك بلدوين اللامع.

الخلاف بين البابا والامبراطور

سنة ١١١٢م، نشب فيها خلاف بين البابا باسكال والامبراطور هنري، نتيجة للسبب التالي: فقد رغب الامبراطور في استخدام الامتيازات التي تمتع بها أسلافه لمدة ثلاثمائة وستين سنة في ظل البابوات الرومان، وذلك بمنح الأسقفيات ورعاية الدير، بوساطة الخاتم وعصا الأسقفية، لكن البابوات الرومان أرادوا عدم السماح بإعطاء الخاتم

والعصا، ولأن يتسلم أي لاهوتي منصباً من واحد علماني، وأقيم على كل حال السلام بين الامبراطور والبابا على شرط أن يتسلم الأساقفة ورعاة الديره مناصبهم في المستقبل من الامبراطور ومن خلفائه من بعده، ويكون ذلك بوساطة الخاتم والعصا، إنما يتوجب عليهم قبل ذلك عمل اعتراف بالطاعة إلى الأسقف الذي يعنيه الأمر، ومنه يتلقون السيامة المعهودة، وجرى الاعلان عن هذا الإتفاق أمام مذبح الرسولين بطرس وبولص، وعندها سمح البابا للامبراطور بتناول جسد المسيح المقدس والمشاركة فيه.

ومات في السنة نفسها تانكرد اللامع الذي أنجز أعمالاً رائعة في فلسطين، وكان أميراً لأنطاكية كما كان كونتاً للرها، وقد خلفه روجر فتز — روجر، وكان رجلاً نبيلاً وذلك على شرط أنه عندما سيطلب بوهيموند الشاب بتملك أنطاكية، سوف يسلمه إياها على الفور.

حول الخلاف بين رئيسي أساقفة كانتربري ويورك

سنة ١١١٣م، أعطى فيها الملك هنري كرسى كانتربري إلى رالف أسقف لندن، ونصبه بوساطة الخاتم والعضا الأسقفية، ومات في السنة نفسها توماس رئيس أساقفة يورك، حيث خلفه ثورستان Thurstan، ونشب جدل كبير بين رالف رئيس أساقفة كانتربري، وثورستان رئيس أساقفة يورك، لأن هذا الأخير كان غير راغب في تقديم الطاعة المعهودة إلى رئيس أساقفة كانتربري، كما فعل أسلافه من قبله، وغالبا ما أثرت هذه المسألة أمام الملك، وأمام مولانا البابا، لكنها لم تحسم تماماً، وفي السنة نفسها قاد الملك هنري جيشاً إلى داخل ويلز، وأرغم السكان على الخضوع لمشيئته الملكية.

وظهر في شهر أيار من السنة نفسها مذنب كبير، وتبع ذلك بعد وقت قصير زلزلة هدمت شطراً من مدينة المصيصة، التي ليست بعيدة عن

أنطاكية، مع قلعتين هما: الأثارب ومرعش، وغزا في السنة نفسها أيضاً مودود، ملك الفرس بلاد الصليبيين مع جيش كبير، من غير الممكن ذكر تعداده، وبعدما عبر مناطق كثيرة نصب معسكره قرب الجسر الذي يجري من تحته نهر الأردن، ولدى معرفة بلدوين ملك القدس بهذا، دعا روجر أمير أنطاكية إلى مساعدته، لكن الملك اندفع قبل وصول حلفائه، واثقاً بقوته المفترضة كثيراً، وقد زحف مع جيش صغير للتصدي للعدو، فوقع في كمين نصبوه له، وبذلك تغلبوا عليه بتفوقهم العددي، وأرغموه على الفرار، تاركاً رايته على أرض المعركة، ومثله فعل أرنولف البطريك والأمراء الآخرون الذين كانوا معه، حيث تخلوا عن معسكرهم مع جميع أثقالهم، ولازوا بالفرار بشكل مهين، وسقط في القتال ثلاثين فارساً وألف وخمسمائة من الرجالة، وعرف الترك أن الأجزاء الأخرى من المملكة ليس فيها قوات عسكرية تحميها، فقسموا جيشهم واجتاحوا المنطقة كلها بالنار والسيف، ونهبوا مناطق الضواحي، وأسروا المزارعين وجمعوا أسلابهم في القرى والبلدات، وهرب الملك بلدوين، ودخل قلعة كانت في أراضيه ودافع عنها وقتاً طويلاً ضد هجمات الأعداء، لكنه استسلم أخيراً على شرط السماح له بالعودة إلى قومه من دون إعاقة.

كيف جعل الملك هنري نبلاءه يؤدون يمين الولاء لابنه

سنة ١١١٤م، جعل فيها هنري ملك انكلترا جميع نبلاءه يؤدون يمين الولاء لابنه وليم، الذي ولدته له الملكة ماتيلدا، وفي السنة نفسها، في شهر كانون الأول أصبحت السماء فجأة حمراء، وكأنها كانت فوق نار، وكان هناك خسوف للقمر.

سيامة رالف رئيس أساقفة كانتبري

سنة ١١١٥م، فيها جرت سيامة رالف رئيس أساقفة كانتبري، في

كانتربري، من قبل أنسلم (حفيد أنسلم الكبير) ونائب البابا ومندوبه، وكان ذلك في السابع والعشرين من حزيران ، وتسلم الطيلسان من يده، وفي اليوم نفسه كرس رئيس الأساقفة ثيوفيلوس Theophilus لكرسي ووركستر، وبرنارد لكرسي القديس داوود، وبعد عدة أيام وجهت الدعوة إلى ثورستان المنتخب إلى يورك، من قبل رئيس أساقفة كانتربري ليتسلم منه المباركة المعتادة، وليقدم اعترافاً بالطاعة له ولكرسي كانتربري، لكن ثورستان ردّ بأنه على استعداد لتلقي المباركة منه، لكنه لن يقدم اعتراف الطاعة المطلوب، ولدى سماع الملك هنري بهذا، احتج بصوت مرتفع، بأنه لن يعمل الاعتراف المطلوب، كما فعل أسلافه، وإذا فعل ذلك سوف يحرم من رئاسة أساقفة يورك، ومن المباركة أيضاً، وعندها أصدر رئيس أساقفة كانتربري نداء لمنع تسلمه السيامة من أي انسان آخر عداه شخصياً، وهكذا تفرق الفرقاء.

تكريس كنيسة القديس ألبان

سنة ١١١٦م، فيها كان الملك هنري في أيام الميلاد، وفي يوم عيد الأبرياء المقدسين، حاضراً أثناء تكريس كنيسة القديس الشهيد ألبان، وقد تولى التكريس روبرت أسقف لنكولن، الذي استدعي للقيام بهذا الواجب من قبل المبجل رئيس رهبان تلك الكنيسة، وكان بين الحضور أثناء الاحتفال: الملك، والملكة ماتيلدا، وجيوفري رئيس أساقفة روان Rouen، ورتشارد أسقف لندن، وروجر أسقف سالسبري، ورالف أسقف درم، مع كثير من الايرلات من انكليز ونورمان، الذين احتفي بهم بكرم من قبل رتشارد، رئيس الرهبان، ومنح الملك هنري الأسقفية لتكون أبدية دائمة التملك من قبل الكنيسة المتقدم ذكرها، وأكد هذه المنحة بصك براءة.

وكان في السنة نفسها خصام شديد بين ملكي انكلترا وفرنسا، وقد ثار للسبب التالي: حمل في تلك السنة ثيوبولد كونت أوف بلوا وابن

اخت الملك هنري، السلاح ضد ملك فرنسا، وأنزل الملك هنري، في دفاعه عن ثيوبولد، أضراراً كبيرة بالملك الفرنسي لويس، الذي دعا إلى عونه كل من كونتي: فلاندرز، وأنجو، لأنها أقسما معا، بأنها سوف ينتزعان نورماندي من الملك هنري، وإعطائها إلى وليم ابن الدوق روبرت، أخو الملك هنري، الذي يمتلك حق الادعاء بها، لكن بما أن الملك الانكليزي كان عاقلاً وحكيماً، فقد ضم إلى جانبه بريتاني مع ثيوبولد المتقدم ذكره، وقام بجمع قوات انكلترا، ونورماندي وبريتاني وتوحيدها، ووقف ينتظر وصول الأعداء، ودخل الملك الفرنسي وجيش كبير مع الكونتين المتقدم ذكرهما اللذان كانا متحالفاً معه، إلى نورماندي، لكنه أمضى ليلة واحدة فوق الحدود، ذلك أنه كان يخشى من أن يزحف ملك انكلترا ضده، ثم انسحب إلى أراضيه دونما قتال، وفي السنة نفسها أثقلت انكلترا بمختلف أنواع الجبايات والمكوس لتأمين حاجيات الملك.

اضطراب أحوال العناصر الأساسية

سنة ١١١٧م، فيها كانت رعود، وزوابع، وبروق، وتساقط برد، وهزات أرضية، دمرت الكنائس، والأبراج، والأشجار، وبني الانسان في لومبارديا، ومات في السنة نفسها أيضاً إيفو Ivo المبجل، أسقف تشارترز، وكان مشهوراً بمعارفه بالكتابات المقدسة.

كيف تفجر الشقاق في روما حول جيلاسيوس البابا المضاد

سنة ١١١٨م، فيها مات البابا باسكال، وخلفه جيلاسيوس Ge-lasius البابا المضاد لمدة سنة واحدة، وماتت في السنة نفسها ماتيلدا ملكة انكلترا، ودفن جسدها بسلام في وستمنستر، وصعدت روحها إلى السماء، كما كان واضحاً من خلال علامات متواليه ومعجزات، وكانت هذه الملكة المباركة قد بنت داراً للمجدومين في لندن، مع بيعة وأبنية

موائمة، وهي المعروفة حتى هذا اليوم باسم « مشفى القديسة مرغريت ».

أصل طائفة فرسان الداوية

في حوالي هذا الوقت كرس بعض النبلاء من طائفة الفرسان، من رجال الدين الذين كانوا يخافون الرب، أنفسهم لخدمة المسيح، وفق طريقة الرهبان النظاميين، وتخلوا عن جميع المباحج تطوعاً بإرادتهم، وعملوا تعهداً إلى بطريك القدس بأن يعيشوا بطهارة أبدية وبطاعة، وكان أول هؤلاء المحترم هيوج دي باني Paganis ، وغودفري دي سينت أومر، وبما أنهم لم يمتلكوا مقرأً ثابتاً، فقد منحهم الملك بلدوين مسكناً في قصره، وذلك في الجانب الشمالي من هيكل الرب، وأعطاهم رهبان الهيكل الفسحة المفتوحة العائدة إليهم والقائمة حول القصر، ليبنوا مكاتب عليها، وقام البطريرك أيضاً، والملك، مع نبلايه مع بقية أساقفة الكنائس، بتقديم هدايا لهم من ممتلكاتهم، حتى يؤمنوا ما يحتاجون لأنفسهم، ويزودوها بالطعام والكساء، وكان هدفهم الأول— من أجل التخلص من ذنوبهم— تنظيف الطرق من اللصوص، وهي الطرق التي كان يتوجب على الحجاج عبورها، وهم على طريقهم إلى القدس.

وأخيراً جرى منحهم بعد تسع سنوات، نظاماً، وكان ذلك من قبل مجمع تروي Troyes ، وعُين لهم رداءً من قبل البابا هونوريوس، وبعد انقضاء السنوات التسع، وحيث كان عددهم تسعة في البداية، قد بدأ هذا العدد بالازدياد بسرعة، وكذلك ممتلكاتهم، وخاطوا فيما بعد، في أيام البابا يوجينيوس صليباً أحمر على أرديتهم حتى يميزوا أنفسهم عن الآخرين، وازدادت أعدادهم في وقت قصير حتى بات هناك ما لا يقل عن ثلاثمائة فارس في بيتهم، وذلك إلى جانب الرهبان الآخرين الذين كان عددهم غير محدود، ويقال أنهم في هذه الأيام يمتلكون ممتلكات هائلة على طرفي البحر، إلى حد أنه ليس هناك أياً من جميع البلدان

المسيحية لم يمنحهم جزء من ثرواته، وهم في هذه الأيام يتفوقون حتى على الملوك بالثراء، وبسبب إقامتهم قرب هيكل الرب، أطلق عليهم اسم فرسان الهيكل.

ومع أنهم التزموا لوقت طويل بمؤسستهم الأصيلة، تخلوا الآن عن تواضعهم الذي كانوا قد آمنوا به، وابتعدوا بأنفسهم عن البطريك، الذي منه تسلموا مؤسسة طائفتهم، وأول المنح والهبات، وتوقفوا عن تقديم الطاعة إلى الكنيسة وعن دفع العشور إليها، وبذلك أصبحوا مبعوضين من قبل كل انسان.

وفي هذه السنة نفسها مات بلدوين الأول، ملك القدس، وكان أميراً رائعاً، أخضع إلى سلطانه مدن: عكا، قيسارية، وبيروت، وصيدا، وطرابلس، وأرسوف مع جميع بلاد العرب حتى البحر الأحمر، وقد خلفه كونت الرها، الذي كان اسمه أيضاً بلدوين، وقد جرى تنويجه ملكاً في شهر نيسان، وذلك في اليوم الثاني من الشهر.

موت البابا جيلاسيوس وخلافة كاليكستوس له

سنة ١١١٩م، فيها مات البابا جيلاسيوس، وقد خلفه كاليكستوس، Calixtus، الذي مكث عشر سنوات، وعشرة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، وقد كان من قبل أسقف فينا تحت اسم غي، وعندما جرى تكريسه بابا اتخذ اسم كاليكستوس، وقد عقد مجمعاً في ريمس، حضره بعض الأساقفة الانكليز والنورمان، الذين أرسلوا إلى هناك من قبل الملك هنري، وحصل ثورستان المنتخب ليورك على إذن الملك بالذهاب إلى هناك، وقد أعطى في البداية تعهداً بأنه لن يتسلم التبريك من كاليكستوس، لكنه عندما وصل إلى هناك إلى المجمع كسب الرومان إلى جانبه - كما يحدث دوماً في مثل هذه الأحوال - بوساطة الهدايا، فأقع البابا بالقيام بتكريسه، وعندما سمع الملك بهذا، منع رئيس الأساقفة

هذا من أن يطأ بقدميه أياً من أراضي الملك، وفي هذا المجمع أدان البابا نفسه خطيئة المعلم غيلبرت بوريتا Poreta الذي يقال بأنه أخطأ في أربعة مسائل محددة هي: أولها، أنه قال بأن الطبيعة الإلهية التي نسميها لاهوت، هي ليست الرب، بل شكل هو دون الرب، مثلما الانسانية هي ليست الانسان، بل شكل دون الانسان، وعلى هذا رد المجمع بقوله: «نحن نعتقد بأن الطبيعة الساذجة للاهوت هي الرب، وما من عقل كاثوليكي يمكنه أن ينكر بأن اللاهوت هو الرب: وعلى هذا حيثما الرب يقال بالحكمة هو حكيم، وبالعظمة هو عظيم، وبالخلود هو خالد، وواحد في وحدة، ورب باللاهوت، ونحن نعتقد أنه ليس حكيماً إلا بالحكمة التي هو بها رب، وأنه ليس عظيماً إلا بالعظمة التي هو بها رب، كما أنه ليس خالداً إلا بالخلود الذي هو به رب، كما أنه ليس واحداً إلا بالوحدة، التي هو بها رب، كما أنه ليس رباً إلا باللاهوت الذي هو نفسه، يعني أنه حكيم في نفسه، وعظيم، وخالد، وإله واحد»، وثانيها: لقد قال بأن الأقانيم التي هي الأب، والابن، والروح القدس، ليسوا إلهاً واحداً، ولا جوهرًا واحداً، أو أي شيء واحداً، لكن هؤلاء ثلاثة أقانيم (أشخاص) وثلاثة أشياء مختلفة في العدد أيضاً، كما لو أن ثلاثة أفراد وجدوا ذوي طبيعة بشرية واحدة، وعلى هذا ردّ المجمع قائلاً: «إننا عندما نتحدث عن ثلاثة أشخاص: أب، وابن، وروح قدس، نحن نعتقد أنهم إله واحد، ولاهوت واحد، وجوهر واحد، والعكس صحيح: لأننا عندما نتحدث عن رب واحد، ولاهوت واحد، وجوهر واحد، نؤمن أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة رب واحد، وجوهر لاهوتي واحد»، وثالثها: قال غيلبرت بأن الخاصية لكل واحد من الأشخاص هي علاقات أبدية خاصة، وهي ليست كذلك بسبب أن الأشخاص مختلفون بالعدد، ومنقسمون منفصلون بالجوهر، ولهم ثلاث وحدات، وبالتالي كثير من الأشياء غير الخالدة، ما من واحد منها هو رب، وعلى هذا ردّ المجمع قائلاً: «نحن نعتقد بأن الرب هو

الآب، والابن، وروح القدس، فقط وحده خالد، وأن ما من شيء سواء دعي باسم علاقات أو خاصية، أو وحدات، هو عائد إلى الرب، وهم غير متأصلين بالخلود، وليسوا رباً» ورابعها لقد أعلن بأن الطبيعة اللاهوتية لم تصبح متجسدة، وعلى هذا ردّ المجمع قائلًا: «نحن نعتقد بأن اللاهوت، سواء قيل له: جوهر لاهوتي، أو طبيعة لاهوتية، قد تجسد بالابن».

القتال بين ملكي فرنسا وانكلترا

نشبت في السنة نفسها معركة قتالية بين لويس ملك فرنسا، وهنري ملك انكلترا، وعمل ملك فرنسا صفيين من العساكر وضع في الأول منها وليم ابن الدوق روبرت، أخو الملك هنري، واتخذ هو موقعه مع الكتلة الأساسية من القوات في الصف الثاني، وعبأ هنري ملك انكلترا جيشه في ثلاثة صفوف، حيث وضع في الصف الأول نبلاء نورماندي، وفي الصف الثاني، اتخذ موقفه مع آل بيته وعساكره، ووضع في الصف الثالث ولديه مع القوات الأساسية المؤلفة من الرجالة، وعندما تواجهت القوات واشتبكت، خرق الصف الفرنسي الأول صف النورماندين، وألقاهم من على خيولهم وفرقهم، ثم هاجم الفرنسيون رجال الصف الذي كان هنري يقوده شخصياً، وقاموا بحدّة بردهم نحو الخلف، لكن الملك الانكليزي تمكن برجولة من إعادة جمع رجاله ووقف ثابتاً في مكانه، وأعقب ذلك اشتباك عنيف بين العساكر الملكية، حيث تكسرت رماحهم، واشتد القتال وازداد التلاحم في مناطق عدة، والسيوف بالأيدي، وتمكن وليم غريسبن Grispin كونت إيفروكس Evreux ، الذي لسوء فعالة، كان الملك هنري قد أبعدته ونفاه، تمكن هذا مرتين من ضرب الملك على رأسه بالسيف، وصحيح أن السابغة والخوذة كان لا يمكن خرقهما، مع ذلك دفعت شدة الضربة السابغة إلى خرق رأس الملك، وبذلك تدفقت الدماء بغزارة، وعندما

شعر الملك بأنه قد جرح امتلاءً غضباً، وبضربة واحدة قذف بالكونت وبحصانه إلى الأرض، وأمسك الفارس على الفور، وحمل أسيراً، ثم قام الرجال، الذين كان بينهم ولدي الملك، والذين لم يشاركوا بعد في القتال، بتشريع رماحهم، وحملوا فوراً على الأعداء بثقل عظيم وبقوة بلغت حداً جعلت جميع العساكر الفرنسية تنكص على أعقابها، وتدير ظهورها، وتفتر، معطية النصر إلى الملك هنري، الذي بقي في ساحة المعركة حتى فرار الملك الفرنسي، وإلى أن وقع نبلاءه بالأسر، وجلبوا إلى أمام ملك انكلترا، وحمل كونت فلاندرز على محفة ونقل إلى موطنه، وهو مصاب بجراحة قاتلة، وعاد الملك هنري إلى روان حيث استقبل بقرعات النواقيس والترانيم في الكنائس، وقد قدم شكراً خاشعاً إلى رب الحشود.

موت رتشارد رئيس رهبان القديس ألبان

في السنة نفسها فارق هذه الحياة رتشارد دي أوبني Aubeney] سماه من قبل دي Exaquis] رئيس رهبان القديس ألبان، وصار غيوفري دي غورهام Gorham رئيس الكنيسة نفسها، رئيساً للرهبان هو السادس عشر، ومات في السنة نفسها هيربرت أسقف نوروك، وبلدوين كونت فلاندرز من الجراحة التي تلقاها في إيو Eu في نورماندي، وقد خلفه شارل ابن كنوت Cnut ملك الدانمرك، وجاء في تلك الآونة البابا كاليكستوس إلى عند الملك هنري في نورماندي، وعقد هذان الاثنان، اللذان كان أولهما الحبر الأعظم، وثانيهما الملك، محادثات فيما بينها في غيسور Gisors:

كيف جرى مقتل أمير أنطاكية

في حوالي ذلك الوقت، قاتل روجر أمير أنطاكية، مع ثلاثمائة فارس، وثلاثة آلاف من الرجال، ضد الأمراء الثلاثة للأتراك، ورجال دمشق،

والعرب، الذين كان معهم ما لا يقل عن ستين ألف رجل في جيشهم، وفي هذا الصراع غير الاعتيادي، قتل الأمير مع جميع رجاله، حتى أنه لم يبق هناك من يحمل أخبار الهزيمة، وبعد هذه المعركة استولى المسلمون على بلدي كفرروما، وزردنا، وعندما سمع بلدوين ملك القدس بهذه الحادثة، سار بشجاعة للتصدي للأعداء، وقاتل مع جيشه الصغير في جبل داوود ضد عساكرهم الكثيرة، وهزم الأمراء الثلاثة، وأعاد الاستيلاء على بلدي كفر روما، وزردنا، المتقدمتي الذكر، وطارد العدو المنهزم، موقعاً فيه كثيراً من القتلى، واستمر في ذلك حتى حلول الليل.

كيف غرق في البحر الكثيرون من آل بيت الملك هنري

سنة ١١٢٠م، فيها بعدما أخضع الملك هنري جميع أعدائه في فرنسا، وهدن كل شيء في نورماندي، عبر منتصراً إلى انكلترا، لكن ولديه: وليم، ورتشارد، وابنته وحفيدته، مع رتشارد إيرل أوف شستر، وسقائه، وخدمه، وطهاته، وكثير من النبلاء، قيل بأنهم كانوا جميعاً قد فسدوا بسبب ممارسة إثم اللواط، قد غرقوا في البحر، وهلكوا جميعاً بشكل تعيس، لأنهم لم ينالوا دفناً مسيحياً، فقد ابتلعهم موت مفاجيء مع جميع دنسهم، مع أن البحر كان هادئاً آنذاك.

كيف اتخذ الملك هنري زوجة

سنة ١١٢١م، فيها تزوج هنري من أليس، ابنة دوق لوفين -Louvain- لبهائها وجمالها، وقد جرى تكريسها ملكة من قبل رالف رئيس أساقفة كانتربري، في لندن، في أيام عيد العنصرة، حيث جلست هناك بشكل رسمي وراء مائدة والتاج عليها، وكانت برفقة الملك، وبعد الفراغ من هذا زحف الملك على رأس جيش كبير إلى ويلز، لكن شعب ويلز قابله متضرعاً، وخضع لإرادته الملكية، وفي هذه السنة نفسها أخذ البابا كاليكستوس واحداً اسمه موريس كان الامبراطور قد جعله بابا

مضاد، ورسمه راهباً.

موت رالف رئيس أساقفة كانتربري

سنة ١١٢٢، فيها سدد رالف رئيس أساقفة كانتربري، وجون أسقف باث Bath ، دين الطبيعة، وفي هذه السنة نفسها أسر القائد بلك جوسلين كونت الرها وأخيه جاليران.

كيف هلك واحد من مستشاري الملك بشكل تعيس

سنة ١١٢٣م، فيها أمضى الملك هنري عيد الميلاد في دنستيل Du-natable، وسار بعد العيد من هناك إلى بيركهامبستد Berk-hampstead، وكان برفقته مستشار اسمه رالف، الذي كان لعشرين سنة مصابا بمرض شديد، ومع ذلك كان نشيطاً بما فيه الكفاية في سبيل جميع أنواع الجرائم، ذلك أنه ظلم البريء، وسلب أراضي الكثيرين، ومع أنه كان ضعيفاً بالجسد، زاد من قوة اندفاع عقله، وبينما كان يرشد الملك إلى بيته، عندما وصلاً إلى قمة رابية، منها كان من الممكن رؤية قلعة الملك، تلمس كثيراً وانفعل إلى حد أنه سقط من على ظهر حصانه، فقام راهب من رهبان دير القديس ألبان، كان قد استولى على أرضه، بالمرور فوقه وحصانه يعدو بدون انتباه، وبذلك أنهى حياته البائسة خلال عدة أيام انقضت.

ومات في السنة نفسها روبرت أسقف لنكولن، وقد خلفه الاسكندر، وأعطى في السنة نفسها الملك هنري رئاسة أساقفة كانتربري إلى وليم دي كوربويل Corboil رئيس رهبان شيك Chick [في اسكس Eeesx]، وأعطى أسقفية باث إلى غودفري، الذي كان حاجب الملكة في تلك الآونة، وثار كذلك روبرت دي ميدلنت Medlent على الملك، الذي تولى حصار قلعته بونتوديمير Pontaudemer واستولى عليها، وبنى في الوقت نفسه سوراً عالياً، وعريضاً مع شرافات حول

برج روان، ومتن برج قلعة كين Caen ، وبالإضافة إلى ذلك جعل قلاع: آرشي Arches ، وغيسور، وفلاسي Falaise ، وأرغنتول Argenteuil، ودو مفرون Domefront، وأوكسيم Ox-ismes، وأمبرت Ambert، وفير VIR، قلاعاً لاترام، وكذلك برج فيرنون Vernon.

كيف جرى أسر ملك القدس من قبل الأمير التركي بلك

واققاد في السنة نفسها، بلدوين ملك القدس جيشاً في مناطق كونت الرها، وبينما كان يسير بدون حذر في إحدى الليالي، وعساكره غير منتظمة، حمل عليه بلك أمير الترك، من كمين، وأخذه أسيراً، ووضعته في السجن في قلعة خرتبرت، وكان مسجوناً في القلعة نفسها: جوسلين كونت الرها، وأخيه جاليران، اللذان من أجل إطلاق سراحهما وتحريرهما جاء الملك إلى تلك المناطق، وعندما سمع أمراء القدس بالأخبار المشؤومة المتعلقة بأسر الملك، عينوا لحكم المملكة رجلاً اسمه يوستاس غرنت، وكان رجلاً حكيماً ومخلصاً، وكان عليه معالجة الأمور، وتسيير الأحوال أثناء غياب الملك، وفي تلك الأثناء حاصر الأمير بلك يافا مع ستة عشر ألف رجل مسلح، ولدى سماع أخبار ذلك قام بطيرك القدس، مع الحاكم يوستاس والأمراء الآخرين، تصحبهم رحمة الرب، فزحفوا إلى هناك مع سبعة آلاف رجل، فهزموا الأعداء بعدما قتلوا سبعة آلاف رجل منهم، واستولى على كميات هائلة من الغنائم اقتسموها بالتساوي فيما بينهم.

وفي تلك السنة نفسها ذهب وليم المنتخب لكانتبري إلى روما حيث تسلم الطيلسان، ثم عاد إلى انكلترا، حيث جرت سياحته في كانتبري من قبل وليم أسقف ونكستر، لأن رتشارد أسقف لندن، الذي إليه عاد ذلك الواجب، كان قد مات قبل وقت قصير.

كيف جرى أسر بعض أعداء الملك

سنة ١١٢٤م، فيها دخل بقوة السلاح إلى نورماندي: روبرت كونت ميلنت Mellent مع ابن أخته هيوج دي مونتفورت، وهيوج فتز -غيريفاس Gervais، لكن وليم دي تانكرفيل Tankerville -حاجب الملك -قاتلهم واشتبك معهم في معركة، حيث أخذهم أسرى، وأرسلهم إلى الملك هنري، الذي وضعهم في السجن.

ومات في السنة نفسها ثيوفيلوس أسقف ووركستر، وأرنولف أوف روكستر، وحوصرت في السنة نفسها صور، حاضرة سورية، من قبل ميكائيل دوج البندقية من جهة البحر، في حين حاصرها أمراء مملكة القدس من جهة البر، وبدأ الحصار في ٢٥ - شباط، وجرى الاستيلاء على المدينة في ٢٩ - حزيران، وقدم في السنة نفسها بلدوين ملك القدس رهائن من أجل اطلاق سراحه، وعاد سالماً إلى شعبه.

كيف فوجيء نائب البابا وهو يقترب الزنا

سنة ١١٢٥م، جاء إلى انكلترا جون أوف كريما Crema، كاردينال الحضرة البابوية، بترخيص من الملك، وزار الأسقفيات والديرة، وقد حصل على هدايا واسعة قدمت له، وعقد مجمعاً مهيباً في لندن في يوم ميلاد العذراء مريم، حيث تحدث بحدة ضد اتخاذ الخليلات من قبل رجال الدين، وقال بأن ذلك كان ذنباً عظيماً أن يصدر من جانبهم، وأن يعمل جسد المسيح، لكن حدث في تلك الليلة، بالذات أن فوجيء برفقة عاهرة كان يجامعها، مع أنه كان في ذلك اليوم قد كرس جسد المسيح، وكانت الحقيقة واضحة بحيث لا يمكن انكارها، وهكذا تحولت مكانته السامية إلى خزي عظيم.

وفي السنة نفسها، أعطى الملك هنري إلى سيمون، كاهن الملكة، أسقفية ونكستر، وإلى جون رئيس شامسة كانتربري أسقفية روكستر،

وإلى سيفرد Sifred راعي غلاستونبري Glastonbury ، أسقفية شستر، وأيضاً نشب خلاف بين وليم رئيس أساقفة كانتربري وثيرستان رئيس أساقفة يورك حول الأولوية، التي حاول كل واحد منها أن يبرهن أنه الأحق بها.

وفي هذه السنة مات الاسكندر ملك الاسكوتلنديين، وقد خلفه أخوه داوود، وكان رجلاً صاحب قداسة عظيمة، وكرم مدهش، فضلاً عن هذا أمر الملك هنري بجميع الممالين في انكلترا، فتعرضوا لسوء العذاب، وكذلك أمر بقطع أيديهم اليمنى لأنهم اقرتفوا تخفيض عيار النقود، ولم يحافظوا على نقاوتها.

كيف انتصر بلدوين ملك القدس على الأتراك

وفي حوالي هذه السنة نفسها اجتمع البرسقي، الذي كان أميراً شرقياً قوياً، مع طغتكين ملك دمشق، وبعدهما عبر نهر الفرات، عاث فساداً في أراضي أنطاكية، واستولى على حصن كفرطاب، وتابع زحفه فألقى الحصار على بلدة عزاز، وعندما سمع بلدوين بهذا، وكان وقتها مسؤولاً عن كل مملكة القدس وإمارة أنطاكية، زحف إلى هناك مسرعاً مع عساكره، فوجد العدو المتقدم ذكره ما يزال مشغولاً بالحصار، فهاجمه بشدة، وبرحمة ربانية هزم الأعداء جميعاً، وقتل ألفين، كلهم وجدوا قبورهم في النار، وبالأموال التي وجدها الملك هناك، قام بفداء ابنته، التي كانت طفلة في الخامسة من عمرها، كان قد أعطها من قبل رهينة من أجل تحرير شخصياً، وعاد من هناك حيث جمع الأسلاب قرب عسقلان، وكان قد قتل عدداً من الأتراك وجدهم على طريقه، ثم عاد إلى شعبه.

كيف مات الامبراطور وكيف عادت الامبراطورة إلى أبيها

سنة ١١٢٦م، فيها فارق هنري امبراطور الرومان هذه الحياة، وقد

خلفه لوثير Lothaire ، الذي حكم اثني عشر عاماً، ثم عادت الامبراطورة ماتيلدا إلى أبيها الملك هنري، وسكنت في قصره مع الملكة، لأن الملك قد أحبها كثيراً، لأنها كانت وريثته الوحيدة، وكان قد عاد إلى انكلترا في أيام عيد القديس ميكائيل، وجلب ابنته معه، بعد وقت قليل من فقدانها - كما قلنا - زوجها الذي كان رجلاً عظيماً، وقام بعد ذلك بقليل، وبناء على أوامر الملك، جميع نبلاء انكلترا ونورماندي بتأدية يمين الولاء إليها، وكذلك إلى ستيفن كونت بولون، ابن أديلا، أخت الملك، وكونت أوف بلوا.

الخلاف بين رئيسي أساقفة كانتربري ويورك

سنة ١١٢٧م، عقد الملك هنري بلاطة لعيد الميلاد في وندسور، حيث رغب ثورستان رئيس أساقفة يورك القيام بتتويج الملك، وذلك على الرغم من معارضة رئيس أساقفة كانتربري، لكنه منع من ذلك باتفاق عام، وجرى طرد حامل صليبه، الذي حمل الصليب إلى بيعة الملك، هو والصليب الذي كان يحمله.

وعندما كان الملك في وندسور، جاءه رسول ليخبره بأن شارل كونت أوف فلاندرز، الذي كان أعز أصدقائه لديه، قد قتل بشكل خياني من قبل نبلائه في كنيسة في بروج Bruges ، وأن ملك فرنسا قد أعطى الكونتية إلى وليم بن روبرت أخو هنري، أي ابن أخي هنري وعدوه، وأن وليم قد استقر في الكونتية، وأنه قد قتل قتلة شارل مع مختلف أنواع العذاب، وقد انزعج هنري تجاه ذلك، لأن الشاب كان شجاعاً ورجلاً نشيطاً، وقد هدد بطرد هنري من كل من نورماندي وانكلترا، التي قال بأنها من حقه وملكا له بشرعة الوراثة.

ومات في الوقت نفسه رتشارد أسقف لندن، وخلفه غيلبرت العالمي، الذي تلقى السيادة من وليم، رئيس أساقفة كانتربري.

زواج الامبراطورة ماتيلدا من غيوفري كونت أوف أنجو

عزم في تلك السنة نفسها فولك كونت أوف أنجو على الذهاب إلى القدس، والاستقرار بها مدى الحياة، فسلم الكونتية إلى ابنه غيوفري، الذي كان لقبه بلانتغنت، وكان شاباً بارعاً جداً، وأخذ فولك طريقه إلى القدس، حيث وصلها سالماً، وفرح ملك القدس كثيراً بوصوله، وزوجه من كبرى بناته، مع توقع أن يغدو ملكاً من بعده شخصياً، وعندما بات ذلك معروفاً لدى الملك هنري، عبر إلى نورماندي، وزوج ابنته الامبراطورة إلى غيوفري كونت أنجو المتقدم ذكره.

وعبر في الوقت نفسه بوهموند بن بوهموند الكبير إلى سورية، وتسلم من ملك القدس بلدوين، ميراثه الأبوي، أي حكم أنطاكية، مع الابنة الثانية للملك لتكون زوجة له، واستولى بوهموند بعد ذلك على كفر طاب، وقتل جميع الأتراك الذين وجدهم هناك.

سنة ١١٢٨م، فيها زحف هنري ملك انكلترا بطريقة هجومية إلى فرنسا، لأن لويس ملك فرنسا حمى كونت فلاندرز، الذي هو ابن أخيه وعدوه، وعسكر في هيسبارد Hespard (ربما ايرنون Epernon) لمدة ثمانية أيام، وهو آمن مطمئن كأنه كان في ممتلكاته، وبهذا أرغم ملك فرنسا على رفض تقديم العون إلى كونت فلاندرز، وعندما كان الجيش هناك، سأل الملك واحداً من الرهبان - وكانت لديه معلومات كثيرة عن أمة الفرنسيين - عن نسب الملك لويس، فأجابته الراهب قائلاً: «أيها الأمير الأعظم قوة، إن الفرنسيين مثلهم مثل الشعوب الأوربية الأخرى يستمدون أصولهم من تروجان Trojans، وعندما حدثت الملك بحكاية نسب ملوك فرنسا كلها شروعاً من حكاية البيضتين، أضاف «كان فيليب ملك فرنسا، الذي هو والد لويس الذي هو في الحكم الآن، لو تمكن فقط من تقليد أسلافه بالقوة، لما كان بإمكانك البقاء آمناً كما أنت الآن في مملكته»، فابتسم الملك وعاد إلى نورماندي.

وفي تلك الآونة جاء دوق اسمه ثيودورك من ألمانيا، بناء على دعوة من هنري، وأغار على فلاندرز، وكان معه بعض النبلاء الفلمنكيين، وزحف وليم لمواجهته على رأس جيش صغير، وتحارب الطرفان بشجاعة، لكن كونت فلاندرز سدّ عجز قواته بقوة غير مرئية، لأنه كان حاداً في استخدام السلاح، وقد حطم صفوف أعدائه، مثل البرق، بسيفه، وبناء عليه لم يعد بإمكان أعدائه تحمل ثقل ضرباته، فأداروا ظهورهم وهربوا، وبذلك نال الكونت وليم النصر، لكن عندما كان يحاصر ايو EU ، ضد الملك هنري، ومتوقعاً في اليوم التالي تسلمها بعد استسلامها، لأن العدو كان منهكاً تماماً، مات الشاب من جرح خفيف في اليد تاركاً وراءه شهرة لاحدود لها.

ومات في السنة نفسها رالف أسقف درم، ووليم أسقف ونكستر، وأوصل المعلم هيوج دي سينت فكتور تاريخه إلى هذا التاريخ.

كيف عقد الملك هنري مجمعاً حول خليلات الكهنة

سنة ١١٢٩م، جلس هونوريوس خمس سنوات وشهرين على كرسي البابوية في روما، وفي السنة نفسها عقد الملك هنري مجمعاً كبيراً في لندن، في اليوم الأول من آب، حول منع الكهنة من اتخاذ خليلات، وكان موجوداً في هذا المجمع وليم رئيس أساقفة كانتربري، وثورستان رئيس أساقفة يورك، مع أساقفتهم المساعدين، وقد خدعهم جميعاً الملك هنري من خلال سداجة رئيس أساقفة كانتربري، لأنهم منحوا الملك الحق القضائي على خليلات الكهنة، وهو أمر انتهى بشكل مهين، لأن الملك تسلم مبالغ كبيرة من المال من الكهنة لانقاذ خليلاتهم، ثم إنه، عندما صار الوقت متأخراً جداً، أسف الأساقفة من أجل الإجازة التي منحوها، وذلك أنه بات واضحاً للأعين كلها انخداع الأساقفة وظلم الشعب، وفي السنة نفسها صار هنري رئيس دير غلاستونبري أسقفاً لونكستر، وعُمل روبرت أسقفاً لهيرفور، وروبرت آخر (الصحيح

الاسكندر) أسقفاً للنكولن.

وفي هذه السنة، عندما كان فيليب ابن ملك فرنسا، الذي توج رسمياً ملكاً بعد وفاة أبيه، راكباً للتنزه في أحد الأيام، قابله خنزير، ركض بين أرجل حصانه، وبذلك رمي الملك الجديد أرضاً، فاندقت عنقه، ومات حيث هو.

وقدمت في هذه السنة نفسها أسراب عظيمة من الطيور الطائفة، حتى أنها احتلت شطراً كبيراً من السماء، ثم إنهم قسموا أنفسهم إلى مجموعات منفصلة، واشتبكوا في القتال وقتلوا بعضهم بعضاً بشكل مخيف، ولعل ذلك بشر بالشقاق التي قام بين المرشحين للبابوية.

الشقاق بين البابويين

سنة ١١٣٠م، فيها مات البابا هونوريوس، وقام بين الرومان حزبين حول من سيخلفه، فقد اختار بعضهم انوسنت، واختار الآخرون أناكلت Anaclet ، وقد بقي الثاني في المدينة، بسبب إخوانه، الذين كانوا رجالاً لهم نفوذهم، ويمتلكون إمارة قلعة كرسستيور Crescentior ، وقام انوسنت، المطرود من قبل الرومان، بعبور جبال الألب، ووصل إلى غاليا حيث جرى استقباله باحترام في تشارترز من قبل هنري ملك انكلترا، الذي احتفى به ثانية بعد عيد الفصح في روان، وتمكن بسلطانه من جعل الجميع يعترفون به بابا، ثم إنه بوساطة ملك انكلترا، جرى تتويج لويس، أخو الملك فيليب ملك فرنسا المتوفى، وكان التتويج في ريمز Rheims من قبل البابا، ثم إنه بعد هذا، في أيام عيد ميلاد القديسة مريم، أعطى الملك ابنته الامبراطورة زوجة إلى غيوفري، كونت أوف أنجو.

موت بوهيموند أمير أنطاكية

في هذه السنة نفسها أغار رضوان أمير حلب على منطقة أنطاكية،

وزحف بوهموند على رأس جيش للتصدي له، فأصيب ومات في كليكية، وفي ظل هذه الفاجعة الكبيرة طلب شعب أنطاكية المساعدة من ملك القدس، الذي زحف إلى هناك مسرعاً، فهزم رضوان وأعطى إلى ابنته بآنتتها مدينتي: اللاذقية، وجبلتة، بعدما ضمن حكم أنطاكية بعد موت بوهموند إلى ابنته الصغيرة، عن طريق أداء يمين الولاء لها، وعاد بعد هذا إلى القدس.

موت بلدوين ملك القدس

سنة ١١٣١م، وقع الفارس الشجاع، بلدوين ملك القدس، مريضاً مرضاً شديداً، ولتوقعه اقتراب نهايته، دعا إليه ختنه وابنته مع ابنتها الذي كان آنذاك في الثانية من عمره، وكان أيضاً اسمه بلدوين، وأوكل إليهم العناية الكاملة والمسؤولية عن المملكة، وبعدهما أكمل جميع واجباته التي كان عليه تأديتها كمسيحي، أسلم الروح، وذهب ليجني ثواباً سرمدياً مقابل جهوده التي بذلها، وليكون مع أسلافه الأتقياء، وخلفه ختنه فولك، وكان فارساً نبيلاً، وتسلم في يوم تمجيد الصليب تاج المملكة.

كيف أوجد ملك انكلترا أسقفية جديدة في كارلايل

سنة ١١٣٢م، فيها أوجد هنري ملك انكلترا أسقفية جديدة في كارلايل Carlisle على حدود انكلترا وغالووي Galloway، وعين فيها ليكون أسقفها الأول إيثلوولف Ethelwulf، رئيس رهبان أوسولد Oswald، والذي كان متلقي اعترافاته، ووضع الأسقف على الفور أنظمة قانونية في الكنيسة، وأضفى عليها كثيراً من التشريعات.

وولد في السنة نفسها لغيوفري كونت أوف أنجو ولداً ذكراً من ابنة الملك هنري، أعطاه اسم هنري، ولدى سماع الملك بهذه الأخبار، وتلقيه لها، دعا إلى الاجتماع جميع أمراء مملكته وعين ابنته ووريثته لتكون

شخصياً وريثة لجميع ممتلكاته بعد وفاته.

ومات في السنة نفسها روبرت أسقف شستر، الذي كان لقبه بيكهام Peckham وهو الذي بإجازة حصل عليها من الملك نقل مقره إلى كوفنتري Coventry ، التي جعلها عاصمة لأسقفية ميرسيان Mercian ، وقد خلفه روجر رئيس شامسة لنكولن، وامتلكت هذه الأسقفية حتى الوقت الحالي ثلاثة مقاعد هي: شستر، وليشفيلد Lich-field، وكوفنتري.

كيف قتل فولك ملك القدس ثلاثة آلاف من الترك

عبر في السنة نفسها جيشاً كبيراً من الترك نهر الفرات، وعسكر في منطقة أنطاكية، فدعا سكان تلك المدينة ملك القدس إلى مساعدتهم، وزحف فولك إلى هناك مع جيش، وانقض على الأعداء، فقتل ثلاثة آلاف منهم، ونجا البقية فراراً، وعاد رجالنا إلى أنطاكية مع غنائم كثيرة لم يعرفوا كيف يتصرفون بها، وفي تلك الآونة شيد بطريك القدس حصناً قرب نوبه التي تعرف بشكل عام باسم بيت نوبه، وفي حوالي ذلك الحين تزوج ريموند كونت أوف بواتو Poitou من كونستانس ابنة بوهيموند الأصغر، وأعاد في هذه الآونة فولك ملك القدس، بناء مدينة بئر السبع القديمة، التي تبعد حوالي العشرين ميلاً عن عسقلان.

شفاء واحد من الكهنة من قبل أم الرب

سنة ١١٣٣م، كان فيها واحداً من العلماء قد أصيب بمرض شديد أقعده، وتمدد ليلاً ونهاراً وهو يصرخ كأنه امرأة في آلام المخاض، وهو يدعو الأم المقدسة للرب حتى تساعده، وفي إحدى الليالي عندما كان في عذاب شديد، شاهد العذراء الأم المباركة للرب، واقفة إلى جانبه برداء أبيض، وذلك استجابة لصلواته، وقد مدّت يدها نحوه، وارتجف

الرجل المريض، لكنه ما أن شعر بلمستها حتى استرد على الفور صحته كما كانت، ومات في السنة نفسها هير في أسقف إيلاي وعين الملك نيجل Nigel لخلافته، وأعطى الملك في الوقت نفسه أسقفية درم إلى مستشاره غيوفري.

كيف أنجبت الامبراطورة ماتيلدا ولداً أسمته غيوفري

سنة ١١٣٤م، فيها ولدت الامبراطورة ماتيلدا ولداً أسمته غيوفري، ونتيجة لذلك وبسببه عبر الملك هنري إلى نورماندي، وبقي هناك لبعض الوقت بسرور عظيم بشأن حفيديه، ومات في تلك الآونة للانداف Llandaff، وهو على طريقه إلى روما، وغيلبرت أسقف لندن، ومات في السنة نفسها روبرت كورتهوز Curthose، أخو الملك هنري، ودفن في غلوستر، وتمددت في هذه الآونة الامبراطورة مريضة لوقت طويل، بسبب المصاعب التي عانت منها أثناء ولادتها لابنها، وقدمت هذه العقيلة الثقية كثيراً من الأعطيات إلى الأرامل، واليتامى، والكنائس، والديرية، فنجت من خطر الموت.

موت هنري ملك انكلترا

سنة ١١٣٥م، فيها عندما كان الملك هنري في نورماندي، عاد في أحد الأيام من الصيد، فتوقف في سينت دنس Denys ، في غابة الأسود، ليأكل بعض الجلكى، وهو سمك (كالأنقليس) كان مغرماً به كثيراً، مع أنه كان لا يوافق، وغالباً ما حذر الأطباء من أكل هذا النوع من السمك، لكنه لم يكن يصغي إلى نصائحهم، وجعل الطعام دم الرجل المسن يرتجف بشكل مميت ويشعر بقشعريرة شديدة سببت له مرضاً مفاجئاً وشديداً، وقاومت الطبيعة ضده، فكان أن عانى من حمى حادة، وذلك في محاولة لمقاومة أسوأ مؤثرات المرض، ولم يستطع هذا الملك العظيم تحمل قوة علته، فمات في اليوم الأول من كانون الأول، بعدما

حكم خمساً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وقد بشرت بموته ربح عنيفة، في مساء عيد الرسولين سمعان ويهوذا، هدمت الأبراج، والبيوت، واقتلعت الأشجار من كل جانب، وانخسف القمر أيضاً في السنة نفسها في اليوم التاسع والعشرين من تموز، وكان هذا الملك قد أسس ديرة: ردنغ، وسرينستر، وبري Pre` قرب روان، ومورتييمير Mor-timer، كما شيد خمساً وعشرين بلدة فخمة إلى جانب الأبراج والقلاع، وبقي جسد الملك ملقى فوق الأرض في روان لمدة طويلة، حيث جرى دفن أحشائه، ونحه وعينه، وجرى تقطيع بقية جسد الملك بالسكاكين، وجرى تمليحه لقتل الروائح الكريهة التي كانت عظيمة، وقد أزعجت كل من اقترب منها، وقد لف بجلد ثور، وجرى دفع مبلغ كبير من المال إلى الطبيب لكي يفتح رأسه بفأس، وليخرج نحه بعدما فسد كثيراً، ومع ذلك جرى لف الرأس بعدة مناديل، وصار مسماً برائحة قاتلة، وهكذا كان المال الذي تسلمه قاتلاً له، وبذلك كان آخر ضحايا الملك هنري، ذلك أنه كان قد قتل عدداً كبيراً قبله، وبعد ذلك صدر على الفور من الجسد من جلد الثور سائل ودم، تولى جمعه الخدم في طشت، وكان ذلك أمراً مرعباً للذين رأوه، وأخيراً جرى حمل جسد الملك إلى انكلترا، ودفن وسط أهبة ملكية في يوم عيد ميلاده، في ردنغ، في الكنيسة التي كان قد أسسها شخصياً، وكان رؤساء الأساقفة والأساقفة ونبلاء المملكة حضوراً أثناء الدفن.

كيف جرى تتويج ستيفن بن ثيوبولد كونت بلوا ملكاً

عندما مات هنري، وقبل أن يجري دفنه - كما تحدثت - قام حفيده ستيفن، عن طريق اخته أديلا، زوجة ثيوبولد كونت بولون، وأخو ثيوبولد الأصغر، كونت بلوا، بالاستيلاء على تاج المملكة، مع أنه كان قد أدى قسم الولاء للامبراطورة، لكنه أغوي من قبل الرب، وكان رجلاً صاحب شجاعة كبيرة، ونشاط عظيم، ذلك أنه عندما اجتمع

نبلاء المملكة في لندن، وعد بوجوب اصلاح القوانين بما يرضي كل واحد منهم، هذا وتولى وليم رئيس أساقفة كانتربري، الذي كان أول النبلاء في تأدية يمين الولاء إلى الامبراطورة كملكة لانكلترا، تولى تكريس ستيفن ليكون ملكاً، وخالصة الأمر أن جميع الأساقفة، والإيرلات، والبارونات، الذين كانوا قد أقسموا يمين الولاء لابنة الملك ووريثته، قدموا المساندة إلى الملك ستيفن، قائلين بأنه من العار أن يخضع مثل هذا العدد من النبلاء أنفسهم إلى امرأة، وأقسم في الوقت نفسه هيوغ بيغود، قهرمان الملك هنري، وشهد أمام رئيس أساقفة كانتربري، أنه عندما كان الملك على فراش الموت، حرم الامبراطورة وجعل ستيفن خليفته، وبناء عليه تسلم الملك الجديد تاج المملكة من يدي وليم رئيس أساقفة كانتربري، في وستمنستر، وسط هتافات الشعب وتأييده الحار، وكان ذلك في يوم عيد الشهيد الرائد، القديس اسطفان، وأقيمت مائدة ملكية في غاية الأبهة.

وأكملت أعمال التتويج بأبهة عظيمة، وعندما انتهت مراسم تقديم الولاء، ذهب الملك ستيفن إلى أكسفورد حيث أكد وعوده التي عملها للرب، وللشعب والكنيسة، في يوم التتويج، وهي كمايلي: فقد وعد أولاً، بعد أداء اليمين، أنه عندما يموت أسقف، لن يحتفظ بمقره بين يديه، بل سيوافق على الفور على إجراء انتخاب قانوني، وتكريس كل منتخب من دون تأخير، ووعده ثانياً أنه سوف يبقي بين يديه الغابات التي هي ليست ملكاً لرجل دين أو رجل علماني، وأن يجذو في ذلك جذو الملك هنري الذي كان يقاضيهم كل سنة إذا ما أخذوا قط لحم طرائد في غاباتهم، أو إذا تولوا نقلهم أو استخدامهم لتأمين حاجياتهم، واستمر هذا النوع من المقاضاة طويلاً، ومورس بشكل ظالم، ذلك أنه كان إذا ما نظر المشرفون الملكيون عن بعد إلى غابة كانت ملكاً إلى أي واحد كانوا يعرفون بأنه رجل صاحب أموال، كانوا على الفور يقدمون

شكوى بوجود تجاوزات، سواء أكان هذا صحيحاً أم لا، وذلك بغية إرغام الملاك، على تخليص غابته دونما استحقاق، وثالثاً وعد بأن الشلنين (danegelt) اللذان كانا يدفعان كل سنة عن كل هايد hide من الأرض، وهو المبلغ الذي كان أسلافه يتسلمونه كل سنة، وعد بإلغاء ذلك إلى الأبد، ولقد كانت هذه هي الأمور المحددة، وكانت هناك أمور عامة أخرى وعد بمراعاتها، غير أنه لم يحافظ على أي من هذه الوعود، مع أنه قطعها على نفسه أمام الرب.

حول التحالف بين الملك ستيفن وملك الاسكوتلنديين

وقام في تلك الآونة، داوود ملك الاسكوتلنديين، الذي كان قد أقسم يمين الولاء، إلى الامبراطورة، بغزو انكلترا، واستولى على كارلايل، ونيوكاسل -على- التاين Tyne، ووضع حاميات عسكرية فيها، ولذلك قاد ستيفن ضده جيشاً كبيراً، والتقاء في درم، حيث عقدت معاهدة بينهما، بموجبها أعاد الملك داوود نيوكاسل، واحتفظ بكارلايل، وذلك بموافقة من ستيفن، ولم يقدم الملك الاسكوتلندي يمين الولاء إلى الملك ستيفن، لأنه كان قد أقسم على تقديم الولاء إلى ابنة خاله الملك هنري، ومع ذلك اعترف الملك داوود بأنه من أتباع الملك ستيفن، وتلقى مقابل ذلك منطقة هنتغدون Hun-tingdon ملكاً له ولورثته من بعده إلى الأبد.

ثم عاد الملك إلى وطنه، وعقد بلاطه في لندن، أثناء الاحتفالات بعيد الفصح، بأبهة أعظم مما عرف قط من قبل، بسبب وفرة الذهب، والفضة والمجوهرات، والملابس الثمينة، وأشيع في يوم عيد صعود الرب، في جميع أنحاء انكلترا بأن الملك قد مات، وقد سبب هذا اضطراباً عظيماً في المملكة، ولذلك استولى هيوغ بيغود على قلعة نوروك، وأعلن أنه لن يسلمها إلى أحد سوى الملك، لابل أعلن إنه غير مستعد للتخلي عنها حتى إليه، وبدأت الحياة تنتشر الآن بين النورمان، لكن الملك قاومهم

برجولة، واستولى على قلعة بادنغتون، التي كانت ملكاً لواحد اسمه روبرت، كان متمرداً، وقد زحف من هناك إلى إكستير، التي وقفت ضده وقاومته بوساطة بلدوين دي رفر Rivers، وتمكن بصعوبة من الاستيلاء على كل من المدينة والقلعة، وقد سمح للمتمردين بناء على نصيحة المستشارين الأشرار بالذهاب دون عقاب، ولذلك ثاروا ثانية، واستطاعوا بشكل خياني تحصين عدد من القلاع ضده، وسار الملك من اكستير إلى جزيرة وايت، التي انتزعها من بلدوين دي رفر المتقدم ذكره، ونفاه إلى انكلترا، وبعد هذه النجاحات ذهب الملك إلى الصيد في برانتون ليس بعيداً عن هتتغدون، حيث دخل إلى غابات نبلائه، واصطاد خارقاً بذلك العهد الذي قطعه على نفسه للرب وللشعب.

كيف أخضع غيوفري كونت أوف أنجو

بعض البلدات في نورماندي

وتمكن في تلك الآونة غيوفري كونت أوف أنجو وزوجته ماتيلدا، من الاستيلاء بسهولة على بعض القلاع في نورماندي، مع جميع المزارع التي أبقاها الملك بيده، وذلك عندما طردا وليم تيلفاز Talevaz ملاكهم السالف، وقدا في شهر آب إلى روان حيث ولدت ماتيلدا للكونت غيوفري ولداً ثالثاً، سمته وليم، وغضب نبلاء نورماندي من هذا، فبعثوا إلى ثيوبولد كونت أوف بلوا، الذي كان الأخ الأكبر للملك ستيفن، ودعوه للقُدوم ومساعدتهم على استرداد نورماندي، ووصل ثيوبولد إلى ليزكس Lisieux في صوم الشهر العاشر، وهناك سمع بأن أخاه ستيفن قد توج ملكاً على انكلترا، وعندها تخلى روبرت إيرل أوف غلوستر، عن فالاي Falaise وسلمها إلى ثيوبولد، وكان قد أخذ أولاً مبلغاً كبيراً من المال من خزانة الملك هنري.

ومات في السنة نفسها وليم رئيس أساقفة كانتربري، ووليم أسقف

إكستر، وجون أسقف روكستر.

كيف تلقى ملك فرنسا ولاء يوستاس ابن الملك ستيفن

عن نورماندي

سنة ١١٣٧م، فيها عبر الملك ستيفن إلى نورماندي، فهرب كونت أوف أنجو من أمامه، مما ساعد على عمله العسكري، فنجح في كل شيء تولاه، وهزم أعداءه، واستولى على قلاعهم، وبرهن على أنه شخصياً من أكثر الرجال تميزاً، وعمل معاهدة مع ملك فرنسا، الذي إليه قدم ابنه يوستاس الولاة من أجل نورماندي، ولدى مشاهدة غيوفري كونت أوف أنجو لهذا، وهو الذي سلف لستيفن أن قدم لزوجته الولاة، طلب منه إعادة انكلترا، ولكن بما أن القوة الملكية كانت متفوقة عليه كثيراً، وافق على عقد هدنة، بموجبها تسلم من الملك خمسة آلاف مارك سنوياً شرط الحفاظ على السلام، أما بالنسبة لثيوبولد أخو الملك، وكونت أوف بلوا، فقد اشتكى بأن ستيفن الذي كان الأخ الأصغر، قد استولى على تاج انكلترا بشكل غير عادل، ولذلك وافق الملك على أن يدفع له سنوياً مبلغ ألفي مارك، وهكذا افترق الأخوان على وفاق، وعاد ستيفن بعد هذه النجاحات إلى انكلترا.

ومات في السنة نفسها لويس ملك فرنسا، وقد خلفه ابنه لويس، الذي تزوج من إليانور ابنة دوق أكويتين، ومنها ولد له ابتان، الكبرى منهن تزوجت من هنري أكبر أولاد كونت فلاندرز، وتزوجت الصغرى من ثيوبولد الابن الأصغر للأمير نفسه.

حول عداء الاسكوتلنديين نحو الملك ستيفن

سنة ١١٣٨م، فيها حصل كونراد على الامبراطورية الرومانية، وحكم لمدة خمس عشرة سنة، وفي السنة نفسها، حاصر الملك ستيفن، في يوم عيد ميلاده قلعة بدفورد Bedford قائلاً لا ينبغي ترك عدو واحد يرتاح

حتى لمدة ساعة»، لكنه لم يستطع اخضاع القلعة، لأن الاسكوتلنديين قادوا مع ملكهم جيشاً إلى نورثأمبرلاند Northumberland، واقترفوا أعمالاً شائنة جداً، وبحكم أن ملكهم كان قد أقسم يمين الولاء إلى الامبراطورة، شرعوا الآن ينتقمون لصالح قضيتها، حيث كانوا يستخرجون الأطفال من أرحام أمهاتهم، ويطوحون بهم على أسنة رماحهم، وقد قتلوا الكهنة على المذابح، وقطعوا رؤوس الصليبان ووضعوهم على جثث الذين كانت رؤوسهم مقطوعة، ووضعوا مكانهم رؤوس ضحاياهم الدموية، وكانوا حينها ذهبوا هناك مشهد واحد من الوحشية والرعب، والنساء يولولن، والشيوخ يبكون، وكل حي هو في رعب شديد.

وبناء عليه، زحف الملك ستيفن مع عساكره نحو اسكوتلندا، لكن قبل أن يصل إلى تلك البلاد عاد الملك الاسكوتلندي إلى مملكته، وانسحب إلى معاقله، وتولى الملك ستيفن نهب جنوب اسكوتلندا، ثم عاد إلى انكلترا، وكان في ذلك الوقت غضب شديد ضده بين النبلاء، حتى أن الاضطراب أحاط به من كل جانب، حيث استولى وليم تالبوت على قلعة هيرفورد ضده، واستولى أيضاً روبرت إيرل غلوستر -وهو ابن غير شرعي للملك هنري- على قلعتي ليدز وبرستول، واستولى وليم لوفل Luvel على قلعة كاري Gary ، واستولى باغانل Paganel على لودلو Ludlow، واستولى وليم دي موين Moiu على قلعة دنستر Dunster ، واستولى روبرت أوف لنكولن على وورهام Warham، واستولى يوستاس فتر-جون على ملتون، واستولى وليم فتر-ألان Alan على شروبري Shrewbury ، وقام الملك ستيفن بالاستيلاء على آخر هذه القلاع تسمية بالقوة، وشنق بعضاً من حاميتها، وعندما بلغ ذلك إلى مسامع وولكلالين Walkeline الذي كان مستولياً على قلعة دوفر، سلمها على الفور إلى الملكة التي كانت تحاصرها.

كيف أغار ملك اسكوتلندا ثانية على نورثأمبرلاند

عندما كان الملك ستيفن مشغولاً على هذه الصورة في الجنوب من انكلترا، قاد داوود ملك اسكوتلندا جيشاً ضخماً إلى نورثأمبرلاند، وواجهه هنا النبلاء الشماليون، فتمكنوا بقيادة ثورستان رئيس أساقفة يورك من غرس العلم الملكي في ألفيرتون (North Alerton) Alver-ton ، وبرجولة قاوموا الأعداء، وكان الرجال الرئيسيون الذين شاركوا في هذا القتال هم: وليم إيرل أوف ألبمارلي (Albemarle)، ووليم أوف نوتنغهام، وولتر إسبك (Especk) ، وغلبرت دي لاسي، وحال المرض دون حضور رئيس الأساقفة، غير أنه أرسل مكانه رالف أسقف درم، حتى يذكر الناس بواجباتهم، وكان كلامه الذي وجهه إليهم من العالي إلى الداني كمايلي: «يانبلاء انكلترا الشجعان، أيها النورمان المولد، الذين ارتجفت شجاعة فرنسا أمام قوتهم، والذين بحدّة أسلحتهم أخضعوا انكلترا، والذين أيضاً تحت حكومتهم ازدهرت أبوليا الغنية ثانية، والقدس الشهيرة جداً، وأنطاكية الواسعة الشهرة خضعا معاً أمامكم، والآن اسكوتلندا، التي هي بالشرع خاضعة لكم، تجرأت على مقاومتكم، وعرضت حماقاتها، التي غير مؤيدة بأسلحتها، وهي موائمة - كما هي - للخصام وليس للقتال والمعركة، وعلى هذا لا تكونوا خائفين، بل كونوا بالحري غاضبين، من أن هؤلاء الذين دوماً طاردناهم وقهرناهم دوماً في بلادهم، يقومون الآن بخرق النظام المعتاد، وقد طلبونا بشكل أحق على أراضيها، وإنني أخبركم، بصفتي أسقفكم، بأن هذا قد عمل بمشابهة تحذير رباني لكم، بأن هؤلاء الذين انتهكوا حرمة معابد الرب، ودنسوا المذابح، وقتلوا كهنته، ولم يوفروا الأطفال ولا النساء الحوامل بالأطفال، يمكن أن يتلقوا على هذه الأرض العقوبة التي يستحقونها على جرائمهم، وعلى هذا كونوا شجعاناً أيها المقاتلون البارعون، وقوموا بوساطة الشجاعة العائدة إلى

جنسكم، لابل بمعرفتكم المتقدمة بالرب، وصدوا هؤلاء الأعداء من الغربان، الذين لا يعرفون حتى كيف يسلحون أنفسهم في يوم المعركة، ولا تتطلعوا إلى أية احتمالات مشكوك فيها كما يحدث في الحرب، فصدوركم مغطاة بدروعكم الطويلة السابغة، وعلى رؤوسكم خوذكم، وعلى أرجلكم ساترات السوق، وأجسادكم كلها محمية بترستكم، وبذلك لن يجد العدو أي مكان يضربكم به، لأنه يراكم وأنتم محاطون بالسلاح من كل جانب، فلماذا أنتم مترددون تجاه غير المسلحين وغير أهل الحرب؟ فالعدو يزحف بغير انتظام، ولا أريد أن أقول أكثر، إن الأعداء يتدفقون نحوكم بصورة فوضوية، وهذا أمر يفرحني، ثم إن كل واحد منكم يسقط وهو يقاتل في سبيل الرب، وفي سبيل بلادكم، نحن نحلله من العقوبات المستحقة على ذنوبه، وذلك باسم الأب، الذي قتل الأعداء مخلوقاته بشكل مخجل ومريع، وباسم الابن الذي دنسوا مذابحه، وباسم الروح القدس، الذي أزالو نعمته باقتراف مثل هذه الكمية من أعمال الشر»، وردّ الجيش الانكليزي على هذا الخطاب بالصراخ عالياً: آمين، آمين، ورددت الجبال والروابي أصداً ذلك.

حول المعركة التي نشبت بين الاسكوتلنديين والانكليز

ولدى سماع الاسكوتلنديين الصراخ، قاموا مثل النساء برفع صرخات حرهم «ألبان»، «ألبان» ثم مالبتوا أن اندفعوا بشكل مخيف، واشتبك الجيشان بالقتال، وقامت كتلة من الرجال من اللوثيين -Lothian، كانوا حصلوا من الملك على شرف تسديد الضربة الأولى، قاموا بالحملة باقدام على الفرسان الانكليز الدارعين، وجاءت حملتهم برمي الحراب، وباستخدام الرماح الطويلة، ولقد سقطوا على الانكليز مثل سقوطهم على سور، لأن الانكليز بقيوا دونما حراك، ثم اختلط الرماة الانكليز مع الفرسان وصبوا نسابهم مثل السحاب على الاسكوتلنديين، وأصابوا الذين لم يكونوا محميين بالدروع، وفي ذلك الحين تحلقت

القوات الانكليزية كلها حول العلم، ومعها فخار ومجد النورماندين، وبقوا صامدين لم تتخلخل صفوفهم، وسقط قائد الرجال اللوثيين قتيلاً لإصابته بنشابة، وشرع رجاله بالفرار، لأن الرب العلي الأعلى كان غاضباً عليهم، ولذلك تدمرت قواهم بالمعركة مثل بيت للعنكبوت، وهربت الكتلة الأساسية من الاسكوتلنديين، وكانوا يقاتلون في جانب آخر من أرض المعركة، وجاء ذلك بعد رؤيتهم رفاقهم يهزمون، فوقتها فقدوا شجاعتهم، وتراجعوا أيضاً، وبدأت عساكر الملك التي كانت من عشائر مختلفة، أولاً بالفرار بشكل فردي، ثم نكصوا على أعقابهم بشكل جماعي، مع أن الملك وقف في مكانه ثابتاً، لكن رفاقه أرغموه على امتطاء ظهر حصانه والفرار، وفي الوقت نفسه لم يعبأ ابنه الشجاع بفرار الآخرين، بل انصرف نحو نيل المجسد، فحمل على صفوف العدو بتصميم وشجاعة واصرار، مع أن رجاله لم يكن بمقدورهم إلحاق الأذى بالفرسان الذين كانوا محميين بدروعهم، وقد أرغموا أخيراً على الفرار، لكن من دون، سفك عظيم للدماء، وجرى طردهم بشكل مهين وفروا في كل اتجاه، ولقد روي بأن أحد عشر ألفاً من الاسكوتلنديين قد قتلوا، إلى جانب الذين أصيبوا بجراحات مميتة في حقول القمح والغابات، وانتصر جيشنا بسرور مع قليل جداً من الخسائر بالحياة، ومن بين جميع الفرسان، كان أخو غيلبرت دي لاسي Lacy الوحيد الذي قتل، وجرى القتال في هذه المعركة في شهر آب، من قبل الناس الذين سكنوا في المنطقة وراء الهمبر Humber.

وفي هذه السنة نفسها، أرغم في شهر تشرين الأول كونت أوف أنجو سكان أورسمي Orismes على الاستسلام، كما أنه ألقى الحصار على بيوكس Bayeux وفالي Falaise.

كيف جرى انتخاب ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري

وقدم في هذه السنة نفسها ألبيرك Alberic أسقف أوستيا Ostia،

ومندوب الكنيسة الرومانية، إلى انكلترا، وعقد مجعماً في لندن في أيام عيد الميلاد، وذلك في كنيسة القديس بولص، وهناك قام بأمر من المندوب البابوي هنري أسقف ونكستر برسم رتشارد دي بيومي Beaumeis شماساً، وفي اليوم نفسه، وفي أثناء القيام بأعمال السيامة جرى انتخاب ثيوبولد رئيس دير بك، من قبل الأساقفة، رئيساً لأساقفة كانتبري، وكان إرميا رئيس رهبان كانتبري بين الحضور، وبعدما جرت سيامته من قبل النائب البابوي ذهب إلى روما حيث تسلم الطيلسان من البابا إنوسنت.

كيف غزا الملك ستيفن سكوتلندا وعاد مع ابن ملك الاسكوتلنديين رهينة

سنة ١١٣٩م، استولى فيها ستيفن بعد يوم الميلاد على قلعة ليد، وذهب بعد ذلك إلى اسكوتلندا وبالسيف والنار، أرغم ملك تلك البلاد على أن يتصالح معه ويقبل بشروطه، ويعطيه ابنه هنري رهينة، ثم عاد ستيفن إلى انكلترا، جالباً الشاب معه، وقام على الفور بإلقاء الحصار على قلعة لودلو Ludlow، حيث جرى سحب هنري هذا من على ظهر حصانه، ورفع بوساطة كلاب حديدي من قبل المحاصرين، حتى كادوا يرفعونه إلى القلعة، لكن الملك ستيفن، تصرف من جانبه كفارس شجاع فأنقذه بيديه، وما أن استسلمت القلعة، حتى زحف ستيفن إلى أكسفورد، وقام بشكل قبيح بأن اعتقل في بلاطه: روجر أسقف سالسبري، والاسكندر أسقف لنكولن، وكان حفيده، مع أنهما لم يرفضاً تسوية المسائل عن طريق العدالة، وألقي بالاسكندر في السجن، وجرى حمل أسقف سالسبري من قبل الملك إلى ديفيزي Devizes قلعته، التي لم يكن هناك قلعة أجمل منها في أوروبا، وأبقي هنا من دون طعام، وجرى تهديد ابنه الذي كان مستشاراً بالمشنقة، وبهذه الوسائط حصل الملك على استسلام القلعة، وحصل بعد ذلك مباشرة على استسلام قلعة

شيربيرن Sherburne بالطريقة نفسها، وبعدها وضع أموال الأسقف بين يديه، حصل على يدكونستانس، أخت لويس ملك فرنسا، لتكون زوجة لابنه يوستاس، ثم عاد من هناك، حيث عامل أسقف لنكولن وفق الطريقة نفسها حتى سلم إليه قلعتي: نيوارك Newark، ولاتفورد Lاتفورد.

كيف قدمت ماتيلدا الامبراطورة السالفة إلى انكلترا

وفي تلك الآونة قدمت إلى انكلترا ماتيلدا، ابنة الملك هنري، والتي كانت من قبل امبراطورة، والتي إليها جرى ضمان المملكة عن طريق الأيمان، وقدم معها أخوها روبرت، وقد رست في آرونديل Arundel، حيث استقبلت بالسرور والترحاب والتهنئات من قبل وليم دي أوبني Aubeny زوج الملكة أليس، التي كان في بائنتها من الملك هنري قلعة وايرليه آرونديل، وزحف روبرت إيرل غلوستر مع عشرة فرسان، وعشرة رماة فرسان، في وسط ممتلكات الملك ستيفن إلى وولنغفود Wallingford ومن هناك إلى غلوستر، حيث أعلن لبرين فتنز - إيرل Brian Fitz-Earl، وإلى ميلو أوف غلوستر بأن الامبراطورة قد نزلت إلى اليايسة، وهي الآن موجودة في آرونديل مع زوجته، ومسؤولين آخرين، وفرح الفارسان فرحاً شديداً لدى سماع هذه الأخبار، واستعدا للقتال بشكل فعال إلى جانبها.

ومات في السنة نفسها روجر أسقف سالسبري، جزئياً بسبب التقدم بالسن، وجزئياً بسبب الأسي، وبعد وفاته نفى الملك نيجل Nigel أسقف إيلاي، لأنه كان حفيد روجر أسقف سالسبري، الذي نتيجة لأجحافه به اقتيد إلى دماره، فمنذ ذلك الحين لم تعد تعقد هناك بلاطات، أو احتفالات مهيبية في انكلترا، كما أنه لم يعد هناك شيء اسمه سلام، فقد كان في كل مكان قتل، وحرائق، واضطراب، ونحيب، ورعب، في كل موضع، وأيضا مات ثورستان رئيس أساقفة يورك، وقد

خلفه وليم، خازن الكنيسة نفسها.

كيف حاصر ستيفن قلعة لنكولن

سنة ١١٤٠، فيها ألقى الملك ستيفن قبل عيد الميلاد، الحصار على لنكولن، وهي القلعة التي كان رالف إيرل شستر قد تسلمها لتوه، وقد دافع عن المدينة ضد الملك حتى عيد طهارة العذراء المباركة، ثم إن الأيرل المتقدم الذكر مع روبرت إيرل غلوستر، ابن الملك هنري وختنه قدموا إلى لنكولن مع جيش كبير لرفع، الحصار، وبجراه عبروا مستنقعاً كان تقريبا متعذر العبور، وقاموا بصف قواتهم واشتبكوا مع الملك في القتال، وكان الأيرل رجلاً صاحب قوة خارقة، وهو الذي تولى قيادة الصف الأول، وكان على رأس الصف الثاني الذين كان ستيفن قد نفاهم، وقاد الصف الثالث روبرت إيرل غلوستر، واستمع في الوقت نفسه الملك ستيفن إلى قداس مع كثير من الخشوع، وعندما وضع أثناء القداس بين يدي الاسقف الاسكندر حامل شمعة ملكي، كما هي العادة ليكون مقدمة للرب، انكسر فجأة وانطفأت الشمعة، مما سبب الحزن للملك، ووقع القربان أيضاً على المذبح مع جسد المسيح، بسبب انقطاع خيط، وكان ذلك نذير شؤم عن دمار الملك.

وقام ستيفن، وهو واقف على قدميه بتعبئة قواته بعناية كبيرة، وصف من حوله ببراعة جميع رجاله بدروعهم من دون خيولهم، لكنه صف ايرلاته مع خيولهم للقتال على شكل رتلين، وكان جيش الأيرلات المتمردين صغيراً جداً، بينما كان جيش الملك كبيراً جداً، ومتحد تحت علم واحد، وفي بداية القتال حمل المنفيون الذين كانوا في الساقية على جيش الملك بشدة متناهية، وكان في المكان الذي تعرض للحملة: إيرل ألان، وروبرت إيرل دي ملنت Mellent، وهيوج بيغود، وإيرل سيمون، إيرل شرقي أنجليا Anglia، وإيرل وورني Warenne، وقد تعرض بعض هؤلاء للقتل، وبعضهم للأسر، وهرب الباقيون، وحملت

الفرقة التي كانت بقيادة إيرل أوف ألبمارل Albemarle، ووليم أوف يبري Ypres، على الويلزيين، الذين تقدموا من على المجنبة، وهزمتهم، لكن إيرل شستر هاجم هذه الفرقة، وهزمها مثلما هزم البقية، وبذلك هرب جميع فرسان الملك، وحدث أن وليم أوف يبري الذي كان رجلاً يحمل مرتبة إيرل، مع آخرين لم يستطيعوا الفرار فأخذوا أسرى وألقي بهم في السجن، ووقعت هنا وقائع مدهشة، فقد بقي الملك ستيفن كالأسد المزجر وحده في الميدان، ومامن واحد تجرأ على منازلته، وكان يصك أسنانه ويخرج الزبد من فمه وكأنه خنزير جبلي، وقد صد ببلطة حربيه العساكر التي حملت عليه، ونال شرفاً مؤبداً، بالتدمير الذي أنزله بمقدمي أعدائه، ولو كان هناك مائة مثله، لما كان من الممكن أخذه أسيراً، ذلك أنه عندما كان وحيداً وجد نفسه في ضيق في مواجهة حشد أعدائه، ولذلك أخذ أسيراً في يوم عيد طهارة العذراء المباركة، واقتيد إلى أمام الامبراطورة التي سجنته في قلعة برستول.

كيف جرى الاعتراف بالامبراطورة ماتيلدا من قبل كثير من الناس سيده لهم

ونتيجة لهذا النجاح جرى الاعتراف بسيادة الامبراطورة ماتيلدا من قبل جميع شعب انكلترا تقريباً، باستثناء رجال كنت، حيث استمرت ملكة الملك ستيفن ووليم أوف يبري يقاتلون ضدها بجميع قواهم، وبعد ذلك من قبل وليم أسقف ونكستر وسكان لندن، وقد حدث بعد ذلك إما عن طريق اقتراح قوم مخادعين، أو بحكمة من الرب، أن الامبراطورة طردت من قبل اللندنيين، فأعطت أوامر بوضع الملك ستيفن في أغلال الحديد، ثم إنها قامت بعد بضعة أيام أقامتهم مع خالها ملك الاسكوتلنديين وأخيها الايرل روبرت وعساكر أخرى، بحصار برج أسقف ونكستر، لكن أرسل هذا الأسقف إلى الملكة، وإلى وليم أوف يبري مع النبلاء الآخرين الذين آثروا الملك ستيفن، وجمعهم

لمساعدته، وقام بهجوم حاد على جيش الامبراطورة، وهزم القوات التي كانت تحاصر برجها، وكان بين من أسرهم أثناء المطاردة الايرل روبرت أخو الامبراطورة، الذي كان مسؤولاً عن سجن الملك ستيفن، وبأسره فقط توفرت فرصة لإطلاق سراح الملك، وأسر الايرل في يوم عيد تمجيد الصليب المقدس، وعلى الفور جرت مبادلة الملك به، وبذلك استرد كلاهما حريتهما، وفي تلك الآونة عمل وولران Waleran كونت دي مولانت Meulant، الذي كان على رأس النبلاء النورمان، معاهدة مع غيوفري كونت أوف أنجو، متخلياً له عن قلعتي: مونتفورت، وفالي Falaise، وهكذا استسلم جميع النبلاء إليه من السين حتى حدود رايل Risle، وقدموا الولاء له، ومات في السنة نفسها غيلبرت أسقف لندن، والذي كان لقبه العالمي، وقد خلفه روبرت دي سيغلو Sigillo.

كيف اقتاد الايرل روبرت بعض الرهائن إلى نورماندي

سنة ١١٤١م، فيها عبر روبرت ايرل غلوستر إلى نورماندي، أخذها معه بعض الرهائن من النبلاء الانكليز، الذين آثروا كونت أوف أنجو، حتى يمكنه الاحتفاظ بهم، وعبر أيضاً حتى يتمكن من اخضاع المملكة، وهذا مارفض الكونت فعله لبعض الوقت، وذلك بسبب عصيان أهل أنجو مع رعاياه الآخرين الذين ضايقوه، ومع ذلك وضع بين يدي الايرل هنري أكبر أولاده، ليأخذه معه لدى عودته إلى انكلترا، وعندما كان الايرل روبرت مايزال في نورماندي، استولى على قلاع أوني Au-nay، ومورتين Mortaigne، وتوشبري Teuchebrai، وسيرنس Cerences، وكانوا جميعاً ملكاً لكونت دي مورتين، واستسلم له طواغية سكان: أفرانش Avranches، وقنسطنطين Constantine، وفي السنة نفسها عندما كان الملك ستيفن يقوم بتحصين قلعة في ونكستر، هاجمه جيش كبير عائد للحزب المضاد، وأرغمه على الفرار، كذا: وهذا وقع عند ولتون سنة ١١٤٣)، وأخذ في هذه المعركة وليم

مارتل أسيراً، وكان قهرمان الملك ستيفن، ووضع في السجن في وولنغفورد Wallingford ، تحت حراسة برين فترز— ايرل، ولم يطلق سراحه ثانية حتى أعطى إلى الامبراطورة قلعة شيربورن Sher-bourne، كثمن لاطلاق سراحه.

كيف حوصرت الامبراطورة ماتيلدا وكيف نجت بخداعها الملك ستيفن

وفي تلك الأثناء سمع الملك ستيفن بأن الامبراطورة كانت في قلعة أكسفورد مع حاشية صغيرة، فحشد جيشاً كبيراً، وزحف إلى هناك بعد عيد القديس ميكايل، وحاصر تلك القلعة حتى عيد الميلاد، وعندما رأت الامبراطورة أن مامن أحد من أصدقائها قدم لمساعدتها على الرغم من مضي وقت طويل، لعبت خدعة نسائية مع الملك ستيفن، ونجت أثناء الليل عبر نهر التايمز الذي كان متجلداً، حيث لبست ثياباً بيضاء، وكان معها عدد قليل من الأعوان، وهكذا نجت لأنه لم يكن بإمكان الأعداء رؤيتها، لأن لون الثلج يزيغ العيون، وهناك تشابه باللون بينه وبين ملابسها، وبناء عليه هربت إلى قلعة وولنغفورد، وعهدت بنفسها إلى برين فترز— ايرل، وعلى هذا الأساس استسلمت قلعة أكسفورد إلى الملك.

المجمع الذي عقد بلندن

١١٤٢م، فيها عقد وليم أسقف ونكستر، ونائب الكرسي الرسولي البابوي، مجعاً في منتصف أيام الصوم الكبير، في لندن، بحضور الملك مع الأساقفة الآخرين، لأن مامن احترام أبدي في تلك الأثناء نحو كنيسة الرب والعاملين المكرسين فيها، من قبل التعساء المتهتكين الذين نهبوا البلاد، بل اعتقل كل انسان سجناء أو أطلق سراحهم مقابل فدية، كما يريد، دونها تفريق بين رجال دين أو علمانيين، ولذلك تقرر أن أي

واحد يخرق حرمة كنيسة أو رجل كنيسة، أو يعتقل بعنف رجل دين أو أي من الكهنة الآخرين، سوف لن يكون قادراً على تلقي التحليل إلا من البابا نفسه، كما رسم أن فلاحه الحقول، والفلاحين الذين يعملون فيها، سوف يكونون مقدسين، كما لو أنهم كانوا يعملون في ساحة الكنيسة، كما أنهم حرموا مع شموع مشتعلة كل الذين سيعارضون هذا المرسوم، وهكذا أمكن ضبط شرور هؤلاء الأوغاد قليلاً.

وفي تلك الآونة نفسها، اعتقل الملك ستيفن وليم دي ماندفيل Mandeville في سينت ألبان، وأرغمه على تسليم برج لندن مع قلعتي وولدن Walden، وبلسي Plessis، وذلك قبل أن يعيد إليه حرته، وبذلك جرده من ميراثه الأبوي، ثم هاجم دير رامسي Ramsey، وطرد الرهبان، وملاً المكان بأوغاده، وقد كان رجلاً شجاعاً، غير أنه كان عنيداً في اقرار الذنوب ضد الرب.

موت فولك ملك القدس

وفي حوالي تلك الآونة نفسها، كان الملك فولك، ملك القدس يعبر سهول عكا، فصدف أن انبعث أرنب بري من مكمنه، فأخذ الجميع يطاردون الحيوان بصوت مرتفع، وتناول الملك رمحه وشارك بالمطاردة، وحث حصانه بدون انتباه، وألح عليه إلى أبعد الدرجات، فكان أن كبا الحصان وألقى بالملك فتهشم رأسه إلى قطع، وخرج دماغه من أذنيه، وبادر الجميع مسرعين إلى مساعدته، لكنه كان قد مات، وقد حدث هذا في الثالث عشر من تشرين الثاني، وجرى حمل جسده إلى القدس، حيث دفن هناك في كنيسة ضريح ربنا وسط دموع الحشود التي أحاطت به، وكان الذي تولى إدارة طقوس الدفن الرسمية البطريرك وليم، وما ان انتشر خبر موت الملك في الخارج بين المسلمين، حتى قام زنكي، وهو أمير تركي قوي، على رأس جيش كبير، فألقى الحصار على الرها، وبعد بذل جهود كبيرة جعل المدينة تخضع له، وقد قتل جميع المسيحيين الذين

وجدهم هناك، دونها رحمة، ودوننا تمييز بين الجنس أو العمر، وهكذا فإن هذه المدينة القديمة جداً، التي تشرفت باعتراف الإيمان المسيحي، والتي تحولت إلى المسيحية بفضل العمل التبشيري لثاديبوس الرسول، قد صارت الآن— وباللغار أن تقول ذلك— تحت سلطة المسلمين، ويقال بأنه في هذه المدينة مدفون أجساد : القديس توماس الرسول، والقديس ثاديبوس المتقدم ذكره، والملك أبجر المبارك، وأبجر هذا الأمير المشهور، هو الذي— وفقاً للتاريخ اللاهوتي ليوسيبوس — بعث رسالة إلى ربنا، وقد تشرف بتلقي جواب رسالته، وأعطانا المؤرخ يوسيبوس نص كل من الرسالتين، وأضاف الملاحظة التالية: « لقد وجدنا هذه الحقائق ضمن وثائق مدينة الرها، وذلك حيث حكم أبجر، منسوختان في ورق، كان يحتوي فيما مضى أعمال ذلك الملك نفسه»، وقد قرأنا عن هذه المدينة بأنها غالباً ماجرى الاستيلاء عليها من قبل المسيحيين، ثم استردها المسلمون ثانية.

موت بابوين رومانيين

ومات في السنة نفسها البابا انوسنت، وقد خلفه البابا سيلستينوس Celestinus ، الذي مات أيضاً بعد جلوسه بخمسة أشهر، وقد خلفه لوسيبوس Lucius الذي ترأس الكرسي البابوي الروماني لمدة أحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، وومات في السنة نفسها وليم أسقف ونكستر، وقد خلفه هنري، وإلى هنري هذا أرسل لوسيبوس الطيلسان، راغباً في إقامة رئاسة أساقفة في ونكستر، وأن يضع تحت رئاسته سبعة أساقفة، وفي هذه السنة أيضاً، أنهى المعلم وليم، راهب أوف مالزبري Malmesbury تاريخه عن انكلترا.

كيف عبثاً حاصر الملك ستيفن لنكولن

سنة ١١٤٣م، مات البابا لوسيبوس، وقد خلفه يوجينيوس، الذي

بقي في منصبه ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وواحدًا وعشرين يوماً، وفي السنة نفسها حاصر الملك ستيفن لنكولن، وشرع في بناء برج آخر مقابل القلعة، التي كانت بيد رالف إيرل شستر، ولكن حوالي الثمانين من رجاله قد قتلوا من قبل الايرل، وتمّ التخلي عن العمل، وفي السنة نفسها قُتل روبرت مارميوم، الذي كان فارساً من أهل الحرب، والذي كان قد طرد رهبان كوفنتري من ديرهم، وحوّل الكنيسة إلى قلعة، وجاء قتله في أحد الأيام أمام الدير، وهو يقاتل ضد أعدائه، مع أنه كان في وسط عصابته من اللصوص، ومامن أحد جرح إلا هو نفسه، وبما أنه مات وهو محروم كنسياً، لقد نال موتاً هو من نصيبه الى الأبد، وفي الوقت نفسه أصيب غيوفري إيرل أوف ماندفيل، الذي اقترب عمل الشر نفسه في دير رامسي، بسهم أطلقه عليه عسكري عادي من المشاة، ووقعت هذه الحادثة أمام الكنيسة نفسها، ومثله مثل الايرل، كان يقاتل في وسط عساكره، ونزفت الكنيسة أثناء استخدامه لها كقلعة، كثيراً من الدماء من جدرانها، كدليل على عدم رضا الرب، وحدث لأرنولف ابن الايرل نفسه، الذي استحوذ على الكنيسة كقلعة، بعد وفاة والده، أن وقع أسيراً للملك، الذي نفاه من المملكة، ووقع قائد عساكره من على ظهر حصانه، ومات فوق البقعة، وحكم على رينير أيضاً بالنفي، وهو الذي كان قائد المشاة، وكان من عاداته إحراق الديرة وتهديمها، وعندما كان يعبر البحر، فجأة وقفت السفينة من دون حركة في المياه، وعندما ضرب البحارة القرعة، وقعت القرعة ثلاث مرات على رينير، وبناء عليه وضعوه في قارب صغير مع زوجته ومع أولاده وكل ما كان يمتلكه، وغرق القارب على الفور، وهلكت جميع الأسرة التعيسة، في حين أبحرت السفينة فوق بحر هادىء، من دون صعوبة أو عوائق.

وفي السنة نفسها جرى استقبال غيوفري دوق أنجو بشكل رسمي

لائق من قبل سكان روان، وحمل منذ ذلك الحين لقب دوق نورماندي.

استيلاء الملك ستيفن على قلعة فارنغدون

سنة ١١٤٤م، فيها طرد الملك ستيفن ايرل غلوستر مع عدد آخر من أعدائه، من أبنية قلعة فارنغدون Faringdon ، واستولى على تلك البلدة، وأبقاها محفوظة من قبله.

كيف أسر الملك ستيفن ايرل أوف شستر

سنة ١١٤٥م، فيها اعتقل الملك ستيفن رالف ايرل شستر، أثناء قدومه إليه بطريقة سلمية إلى نورثامبتون Northampton، وأبقاه في السجن، حتى أعاد إليه قلعة لنكولن، مع الحصون الأخرى، التي احتفظ بها بين يديه، وهكذا حمل الملك تاجه بشكل رسمي إلى لنكولن.

كيف عبر هنري الملك المستقبلي إلى نورماندي

سنة ١١٤٦م، فيها عبر هنري ابن دوق أنجو والامبراطورة ماتيلدا إلى بك Bec في نورماندي، حيث احتفي به كثيراً من قبل الدير، وصار في السنة نفسها وليم دي سينت بربارة، عميد يورك، أسقفاً لدرم، ومات في هذه السنة أيضاً غيوفري، صاحب الذكرى الجليلة، ورئيس دير القديس ألبان، الذي كان رائد الشهداء الانكليز، وقد جاء موته بعدما حكم ذلك الدير بطريقة مرضية جداً لمدة ستة وعشرين عاماً، وحرمت هذه الكنيسة من راعي لها من ٢٥ — شباط إلى أيام الابتهاال قبل عيد الصعود التالي، عندما انتخب الرهبان رالف غوبي Gubby، وكان راهباً من كنيستهم، كما كان جيد التعليم، ورجلاً جيداً، وعندما جرى الانتخاب، جاء الملك ستيفن إلى سينت ألبان في يوم الصعود، وعن طواعية قدم موافقته في أن يكون يصبح رالف المتقدم ذكره، راعياً ومات في السنة نفسها أسيلين Ascelin ، أسقف روكستر، وكذلك روجر أوف شستر، وروبرت أوف هيرفور، وقد خلف أسيلين وولتر

رئيس شمامسة كانتبري، وخلف روجر، وولتر رئيس رهبان دوفر،
وخلف روبرت، غيلبرت رئيس دير رهبان غلوستر، وفي السنة نفسها
خلف هنري - الذي كان راهبا من رهبان دير السسترشيان -
ثورستان في رئاسة أساقفة يورك، وظهر في تلك الآونة مذنب حيث
بقي عدة أيام في الغرب، مضيئا الساء بأشعته إلى مسافة عظيمة من
حوله.

حول الخلاف الذي ثار بين البابا يوجينيوس والملك الفرنسي

وقدم في السنة نفسها البابا يوجينيوس إلى باريس، حيث تولى
تكريس واحداً اسمه بطرس، كان حفيداً لإيميرك Aimeric مستشار
الحضرة البابوية، كرسه ليكون رئيس أساقفة لبورغ Bourges، على
الرغم من معارضة لويس ملك فرنسا، وغضب الملك كثيراً لدى هذا
الاعتداء على كرامته، وأقسم على الآثار المقدسة، بحضور كثير من
الشهود، بأن رئيس الأساقفة المذكور سوف لن يدخل مدينة بورغ،
مادام هو شخصياً في الحياة، ولهذا السبب عاش هذا الملك لمدة ثلاثة
أعوام تحت الحرمان الكنسي، ولذلك كان أينما ذهب إلى أية مدينة، أو
بلدة، وقلعة، تعلق القداسات الدينية هناك، وأخيراً أمكن باقناع له من
برنارد راعي دير كليرفو، أن غير الملك موقفه، واستقبل رئيس
الأساقفة، واعتذر عن ذنبه، ووعد بأنه سوف يذهب إلى الحج إلى
القدس، ولهذا السبب والغرض جرى تحصيل جبايات عامة جرى
فرضها في جميع أنحاء غاليا، ولم يُعف أحد لجنسه أو لمرتبته، أو لمكانته
من الدفع أو قبل عذره عن تقديم العون إلى الملك، ولهذا السبب لحق
حجه اللعنات من قبل رعيته، كما سوف تظهر الرواية المقبلة.

كيف عقد البابا يوجينيوس مجعماً في ريمس

من أجل انقاذ الأرض المقدسة

وفي هذه السنة نفسها، في أيام الابتهاال الكبير، جرى استقبال البابا يوجينوس بمسيرة مهيبة في جنيف، وضرب خدم الكنيسة بالعصي كهنة ورجال مولانا البابا، وأراقوا دماءهم داخل جدران الكنيسة، وعقوبة على هذا التجاوز من قبل الخدم، جرى هدم البناء، وطرد الرهبان النظاميين من أماكنهم، وغادر البابا من هناك إلى ريمس حيث عقد هناك مجمعاً، فيه أدان هرطقة يدو Eudo، النبي المزيف، الذي فيما يتعلق بتعويداته وخیالاته، من الأفضل أن لانقول شيئاً، وعين في المجمع أيضاً أشخاصاً للتبشير حول ارسال المساعدة إلى الأرض المقدسة، التي كانت تحت ضغط شديد من قبل المسلمين، الذين تجولوا فيها من دون معارضة، وذهبوا إلى حيث ما أرادوا، وبناء عليه، وبسبب تبشير برنارد رئيس دير كليرفو، حمل كونراد امبراطور الرومان شارة الصليب، ومعه حشد كبير من أشخاص آخرين.

وفي شهر أيار المقبل، انطلق الامبراطور على رأس سبعين ألف فارس مسلح، ولحقه أيضاً لويس ملك فرنسا، مع عدد مساوٍ من الرجال المسلحين، وكان عازماً على الزحف على طريق منفصل، حتى يمكنهم بصورة أفضل الحصول على المؤن لأنفسهم ولخيولهم، وبعدما عبروا بافاريا، والدانوب، والنمسا، وهنغاريا، ومقاطعتي بانونيا، وبلغاريا، وماشيا Maesia، وداشيا، وصلوا أخيراً إلى تراقيا، ومن هناك تابعوا سيرهم إلى القسطنطينية، حيث هناك اجتمع الامبراطور والملك مع الامبراطور مانويل، ثم إنهم عبروا البوسفور الذي يشكل حدود أوربا، ودخلوا إلى بيثينيا التي هي أول مقاطعات آسيا، ونصبوا خيامهم في منطقة خلقيدونية.

وعندما عبر الامبراطور كونراد البوسفور، كانت غلاطية، وبافلاغونيا ومقاطعتي بنطش على يساره، وفريجيا، وليديا، وآسيا الصغرى، على يمينه، ثم زحف خلال بيثينيا وبتركة نيقية على يساره،

وصل إلى ليكونيا.

حول الخيانة المقيتة لامبراطور القسطنطينية

ولدى سماع سلطان قونية بوصول مثل ذلك العدد الكبير من الأمراء، عمل طويلاً من أجل جمع نجدات من جميع بلاد المشرق، وركز تفكيره كله على انقاذ نفسه من الخطر الداهم، فحشد عساكره واتخذ موقفه على حدود ليكونيا، حتى يمكن نفسه، إذا واثاه الحظ ووافقه المكان من إيقاف زحف العدو، وزود امبراطور القسطنطينية امبراطور الرومان بأدلاء، بسبب مصاعب المنطقة، التي سوف يزحف مع قواته خلالها، لكن هؤلاء الرجال - كما قيل - مارسوا الخداع المعهود للاغريق، وقادوا الجيش خلال القفار، حيث امتلك العدو فرصة جيدة للقتال، مع مزية أن الجيش المتقدم جاهل بالمنطقة، ولدى رؤية السلطان الصليبيين وقد انشغلوا في ممرات تلك القفار، انقض عليهم، وهم غير حذرين، وجاء هجومه مع عساكره الممتطين لخيول نشيطة، ومعلوفة بشكل جيد، في حين كان جند الرومان ضعفاء بسبب ثقل أسلحتهم ودروعهم، وكانوا يمتطون خيولاً نصف جائعة، ولذلك كانوا غير قادرين على مقاومة العدو، وأعقب ذلك مقتله رهيبه، ويقدر من الرب الخفي، ولكن العادل، بالكاد بقي من السبعين ألف فارس مسلح، مع مثل هذا العدد من الرجالة، عشرهم، فهؤلاء هم الذين نجوا، وهلك البقية بالسيف وبالجوع، أو أنهم أسروا، وحملوا إلى المعتقلات من قبل العدو.

كيف خدع الامبراطور نفسه الملك الفرنسي وجيشه

سنة ١١٤٧م، فيها وصل الامبراطور كونراد في بداية الربيع، بالسفن إلى عكا، وتابع من هناك سيره إلى القدس، حيث جرى استقباله من قبل الملك بلدوين ومن قبل رجال الدين والشعب بالترانيم وأغاني الحمد،

وجرت مرافقته إلى داخل المدينة المقدسة، ووصل في ذلك الوقت لويس ملك فرنسا، إلى مخاضات نهر ميناند، وجاء ذلك إثر لحاقه بالامبراطور، وبعد رحلة متعبة، وكان على رأس سبعين ألف رجل مسلح، وذلك إلى جانب الاسطول الذي لحق به، وعند النهر، ولدى محاولة الفرنسيين العبور، وجدوا الضفة المقابلة محتلة من قبل جيش المسلمين، الذين قاوموا عبورهم، ولكن أخيراً عندما وجدوا المخاضات، هزموا الأعداء، وقتلوا كثيراً منهم وأرغموا البقية على الفرار، وجمعوا بعد هذا الأسلاب، وفرحوا بالنصر الذي نالوه، وعبروا من هناك إلى لوديسيا، فوصلوا إلى جبل مرتفع، كان من الصعب صعوده، هذا وكان من عادة الفرنسيين، اختيار بعض أشجع عساكرهم، للسير في الأمام، وأن يتبعهم البقية من الخلف، من أجل حراسة أثقال سواد الناس الذين كانوا من غير العسكريين، وللإعداد مع الأمراء حول طريقة الزحف وحول كمية مؤنهم.

وكان في ذلك اليوم النبيل غيوفري دي رانكون Rancon هو الذي يقود المقدمة وعندما وصل إلى قمة الجبل، انقض الأتراك على حين غرة على الجناح الفرنسي، ذلك أنهم كانوا يتبعونه من أجل مفاجئته وقد حطموا الصفوف الفرنسية، وحدث في ذلك اليوم حادث مأساوي، سقط فيه فخار فرنسا وشجعانها، الذين كانوا غارقين في عمى آثامهم، حيث لم يجلبوا معهم تقديراتهم السرية للرب، لكن الملك ماكان ليتحول عن مقصده بسبب هذه المأساة، وانطلق على رأس القوات مع الملكة إليانور، وقد وصل أخيراً إلى القدس، حيث جرى استقباله بترحاب من قبل الملك الشعب، وتعاطفوا معه تجاه المأساة التي حلت به.

كيف حوصرت دمشق من قبل الأميرين المتقدمي الذكر وخيانة الأمراء الشرقيين

وعندما انتهت الصلوات المعهودة، دعا الامبراطور الروماني إلى

اجتماع مع ملكي القدس، وفرنسا، للتباحث حول كيف سيعملون لضمان ثمار هذا الحج العظيم، من أجل منفعة الأرض المقدسة، وتقرر أخيراً بالاجماع القيام بحصار دمشق، التي أنزلت أضراراً كبيرة بالصليبيين، وبعد القيام بالاستعدادات، زحفوا نحوها حتى اقتربوا منها، ثم إنهم زحفوا متقدمين نحو النهر القريب من أسوار المدينة، حتى يتمكنوا من الحصول على الموارد المائية، وقد وجدوا على ضفافه حشداً كبيراً من العساكر، قد اصطفت عند الضفة، وبذلك لم يكن بإمكان لاملك القدس ولاملك فرنسا الاقتراب من النهر، وعندما وصلت أخبار ذلك إلى الامبراطور كونراد، زحف وهو غاضب، من خلال العساكر الفرنسيين، ووصل إلى ميدان العمل، وضرب واحداً من الأتراك المتقدمين، وكان قد اعترض سبيله، ضربه بسيفه ضربة شديدة فصلت رأسه عن الخوذة مع رقبتة ودرعه وسابغته، وذراعه الأيسر وجزء من طرفه الأيسر عن بقية جسده، وبذلك أربع الأعداء، إلى حد أنهم تركوا النهر وهربوا، وبذلك نال الصليبيون السيطرة على الضفة النهر، وبما أنه صار بإمكانهم الوصول إلى المدينة من دون عوائق، ألقوا الحصار عليها من جميع الجوانب، وعندما استمر الحصار لبعض الوقت، خاف السكان من شجاعة الصليبيين وأعدادهم، فجمعوا أنفاسهم وقرروا تأمين نجاتهم بالفرار أثناء الليل.

لكنهم سعوا أولاً، وقد وجدوا أنفسهم غير قادرين على التغلب على رجالنا بقوة السلاح، أن يفسدوا عقولهم بالرشاوى، ودفَعوا مبالغ كبيرة من المال إلى بعض أمرائنا من المشاركة، الذين تعهدوا بشكل خياني برفع الحصار، ولتحقيق هذا الغرض، تحدثوا إلى الامبراطور وإلى الملك عن مصاعب الحصار، ونتيجة لهذه الريية، وللتخلي المخادع للأناس الشرقيين، قام جميع جنود الغرب، وعلى رأسهم الامبراطور والملك الفرنسي بالعودة إلى بلدانهم عبر الطريق نفسه الذي قدموا منه، ومنذ

ذلك الوقت شعروا بالعداوة العظمى، ليس فقط نحو الذين كانوا مسؤولين عن الخيانة، بل أيضاً نحو جميع أمراء الشرق، وأيضاً جعلوا آخرين فاتري العزيمة نحو مسألة الحج.

وفي السنة نفسها جرى تنصيب روبرت دي كيسني Chaisney رئيس شامسة ليكستر، أسقفاً للنكولن بعد الاسكندر، والذي نصبه هو ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري، وكرس أسقفاً بعد صوم الشهر السابع.

كيف جرى قتل ريموند أمير أنطاكية من قبل الأتراك

سنة ١١٤٨م، فيها دخل نور الدين بن زنكي، بعد مغادرة الامبراطور وملك فرنسا، إلى أراضي أنطاكية، وكان نور الدين أعظم أمراء الترك قوة، وقد ألقى الحصار على قلعة إنب، وضده زحف ريموند أمير أنطاكية، على رأس جيشه، ولكن لأنه لم يجمع جيشه بالعناية الكافية، ولا بالعدد الكافي، جرى قتل ريموند مع عدد من نبلائه في المعركة، وتابع نور الدين زحفه من دون عائق لإلقاء الحصار على قلعة حارم، وشعث المنطقة المجاورة كلها، حتى قدوم ملك القدس مع جيش قوي حيث أرغمه على التراجع.

وفي السنة نفسها، قام داوود ملك الاسكوتلنديين، في أيام أحد العنصرة بتنصيب هنري فارساً، وهو الذي كان آنذاك دوق نورماندي، وكان الابن الأكبر لغيوفري بلانتغنت، من خلال ابنة أخته الامبراطورة السالفة ماتيلدا.

كيف أعطى الدوق غيوفري نورماندي إلى ابنه هنري

سنة ١١٤٩م، فيها قام غيوفري دوق نورماندي، بإعطاء الدوقية إلى ابنه هنري، التي كانت ميراثه من جهة أمه، وذلك على الرغم من حظر الملك الفرنسي، وبذلك توفر سبب لنشوب خلاف بين الملك والكونت.

كيف تلقى الملك لويس الولا من الدوق هنري

سنة ١١٥٠م، فيها قدم الملك لويس مع يوستاس ابن الملك ستيفن على رأس جيش كبير، إلى أمام برج أسكي، وكان ذلك نتيجة للخلاف الذي تقدم ذكره، وكان الدوق هنري دوق نورماندي أيضاً موجوداً، وكذلك والده غيو فري كونت أوف أنجو، مع قوة لا بأس بها من أنجو، وبريتاني، ونورماندي، ورأى القادة من على الجانبين أنه إذا ما وقعت الحرب بين الطرفين، لن ينقضي ذلك من دون إراقة للدم، فبدأوا يفكرون بمحاولة الوصول إلى وفاق، وبناء على ذلك، وبفضل وساطة الأصدقاء، تلقى الملك الفرنسي الولا من هنري دوق نورماندي، وعلى ذلك افترق الطرفان على سلام، وبناء عليه، أخذ الدوق هنري مع نبلائه بالإعداد للعودة إلى انكلترا، لكن حدث أن والده غيوفري الذي كان مريضاً مرضاً خطيراً، قد توفي في قلعة سيري Seri في اليوم الثالث عشر من شهر ايلول، وبوفاته صار ابنه هنري الكونت لأنجو والدوق لنورماندي.

وفي السنة نفسها، وقع رالف راعي دير سينت ألبان مريضاً، فقام بناء على نصيحة الدير كله بتعيين روبرت دي غورهام Goreham، الذي كان رئيساً للكنيسة نفسها، وكلفوه في أن يكون نائبه، وأن يحكم الدير عوضاً عنه.

حول الهراطقة الذين اسمهم الحشيشية

وجرى في السنة نفسها قتل ريموند كونت طرابلس، من قبل الحشيشية، وكان رجلاً قوياً وشجاعاً، وبكى موته بلدوين ملك القدس مع جميع الناس، لأنه كان مصدر خطر عظيم على المسلمين، وعلى أمراء المسلمين، وكانت هناك فئة من الناس، سكنت في الجبال، في منطقة صور في فينيقيا حول أسقفية طرطوس، وكان بأيدي هؤلاء عشر قلاع،

مع مناطق واسعة ملكاً لهم، وقد بلغ تعدادهم إلى ستين ألف رجل، أو أكثر، ولا يأخذ هؤلاء القوم بمبدأ وراثه السلطة، بل يعتمدون الفضائل الشخصية، وينتخبون واحداً مقدماً لهم وسيداً وحاكماً، يطلقون عليه لقباً واحداً، هو لقب «شيخ الجبل»، وقد تعهدوا بطاعته دوماً وبلا تردد في كل شيء، مهما كان الأمر صعباً وخطيراً، وكان هؤلاء، إلى جانب المناسبات الأخرى، إذا ما اتخذوا أي أمير هدفاً لكرهيتهم، أو موضع ريبتهن، يتسلم واحد منهم أو أكثر مدية من مقدمهم، وينطلقون دون إعطاء أدنى اهتمام لتتائج عملهم أو العقوبات الناجمة عنه، فيتوجهون إلى مكان إقامة ضحيتهم، فيجعلونه هدفهم الوحيد وموضع اهتمامهم حتى يقضى لهم باغتيالهم، ويعرف هؤلاء القوم باسم الحشيشية من قبل المسلمين والصليبيين سواء، لكن أصل هذا الاسم غير معروف، وقد مضى عليهم أربعمئة سنة وهو يرعون شرائع وتقاليد المسلمين، وما من أحد يمكن مقارنته بهم بالطهارة والغيرة، وكان رئيسهم في هذه الأيام الأخيرة رجلاً غاية الفصاحة، والبراعة، والاخلاص، وهو بالاضافة إلى عادات أسلافه، قد حصل على كتاب الأناجيل، وعلى كتابات الرسل، حيث درس المعجزات المسيحية وأفكارها، وهذا ما جعله يتخلى عن شرعة محمد ﷺ.... والتحول إلى الشرعة الحلوة الفضيلة العائدة للمسيح، وقد شرع الآن بهدم المساجد التي استخدمها شعبه من قبل، وجعل شعبه يصلي وفقاً لعادات المسيحيين، وبدأ يرغب بالقبول في الحظيرة المسيحية، وبناء عليه، أرسل واحداً من رجاله، وكان انساناً حكيماً ومخلصاً، إلى الملك بلدوين، ملك القدس، من أجل أن يتمكن بوساطته من الحصول على تكريس المعمودية، لكن الشيطان الذي هو دائماً غيور من تقدم الكنيسة، لم يسمح لهذا بالحدوث، لأن رسول هؤلاء القوم المتقدم ذكرهم قد جرى قتله من قبل فرسان الداوية، مما ألحق ضرراً بالكنيسة، وهذه النية، التي بدأت بشكل مخلص، لم تكتمل حتى اليوم الحالي.

وفي هذه السنة نفسها جرى طلاق لويس ملك فرنسا من الملكة اليانور، لأنها كانا قد ارتبطا أحدهما بالآخر بالدرجة الرابعة من قرابة العصب.

كيف تزوج هنري دوق نورماندي من اليانور

سنة ١١٥١م، فيها تزوج هنري، دوق نورماندي، من الملكة اليانور، التي تطلقت في العام المتقدم من الملك لويس، وقد حصل بوساطة هذا الزواج على دوقية أكويتين، وكونتية بواتو، وذلك بالإضافة إلى دوقية نورماندي، وكونتية أنجو، وعندما سمع الملك لويس بهذا بات غاضباً غضباً شديداً ضد الدوق هنري، لأنه امتلك ابنتين من اليانور المتقدمة الذكر، وهاتان سوف تحرمان من الميراث إذا ما ولدت، ولداً من أي زوج آخر، وبعد عيد القديس يوحنا، عندما كان الدوق هنري في باريفلور **Barbefleure** وهو على طريقه إلى انكلترا، زحف ملك فرنسا، ومعه يوستاس ابن الملك ستيفن، والكونت روبرت دي بيرشي **Perche**، وهنري كونت أوف شامبين، وغيوفري أخو الدوق هنري، على رأس جيش كبير، لتجريد هنري من نورماندي، وأنجو وأكويتين، ومن جميع ممتلكاته الأخرى، التي توافق هؤلاء الأمراء الخمسة على اقتسامها فيما بينهم، واجتمعوا كلهم من أجل هذه الغاية في نوفمارشي **Neufmarche**— التي ألقوا عليها الحصار، وبعثوا بغيوفري شقيق الدوق على رأس قوة كبيرة لمهاجمة أنجو، ولدى سماع الدوق هنري بهذه الأعمال زحف من باريفلور، ليرفع الحصار عن القلعة، لكنه قبل أن يصل وجدها قد استسلمت إلى الملك الفرنسي عن طريق خيانة الحامية، وكأنها سقطت عنوة.

ثم أقام الدوق هنري معسكره قرب أنديل **Andelle**، ونهب شطر فكسين **Vexin** القائم بين نهري إيك **Icca** وأنديل، وكانت هذه المنطقة تابعة إلى دوقية نورماندي، لكن غيوفري كونت أوف أنجو أعطاها

بشكل مؤقت إلى الملك لويس، وأحرق هنري أيضاً قلاع: باسكرفيل Baskerville، وشيتري Chitrey، وستيربني Stirpiney، وهي قلاع كانت عائدة إلى أعدائه وذلك إلى جانب قلعة هيوغ دي غورني Gornay، التي اسمها كافييري La Ferte، لأن هيوغ هذا رفض تقديم خدماته المتوجبة، ثم إنه أحرق قلعة بروبول Brueboles، وأخرى اسمها فيل Ville، ثم دخل من هناك إلى نورماندي حيث ألحق أضراراً بالغة برتشارد دي أقويلا Aquila، الذي كان زاحفاً ضده مع مساعدة لأعدائه، وأحرق قلعته بونفيل Bonville، وفي حوالي شهر آب، وضع الدوق عساكر لحراسة نورماندي، ومن ثم أخذ طريقه إلى أنجو، وألقى الحصار على قلعة جبل سورل Sorel، التي كان فيها وليم صاحب القلعة، الذي آثر قضية أخيه، وكان معه عدداً من الفرسان الآخرين، وجرى أسر هؤلاء جميعاً، وهذه النازلة تمّ ارغام أخيه غيوفري على إقامة سلام.

وفي الوقت نفسه اغتتم ملك فرنسا فرصة غياب الدوق، فدخل إلى نورماندي فأحرق شطراً من بورغ ريغولر Bourg Reguliar مع قرية تابعة لقلعة فيرنيل Verneuil، ثم أمكن بوساطة تدخل رجال الدين إقامة هدنة بين الملك والدوق.

وقدم في هذه السنة أيضاً الملك ستيفن إلى سينت ألبان، وأخبر هناك بمرض راعي الدير رالف، وأعطى هناك بناء على وساطة الأساقفة ورجال الدين الآخرين، إلى الرهبان امتيازاتهم في انتخاب راعي الدير، وبهذا الإذن انتخبوا بالاجماع رئيسهم روبرت غورهام Gorham، الذي تبعاً لذلك تلقى المباركة المعتادة في ١٧ - حزيران، ومات سلفه بعد تسعة عشر يوماً من انتخابه، ودفن مع الاحترام المستحق، في بيت الكهنة مع الرعاة الآخرين، وفي السنة نفسها أوحى إلى رجل في المنام بأنه إذا ما قطع يديه ورجليه، فلسوف يضمن خلاصه الأبدي، وتبعاً

لذلك نفذ هذا العمل، فمات إثر ذلك على الفور.

وفي تلك السنة، في يوم تمجيد الصليب المقدس، ماتت ماتيلدا زوجة الملك ستيفن، وحدث موتها في هينغهام Hiangeham ، وهي قلعة تابعة للكونت ألبيرك دي فير Ver ، ودفنت في دير فيفرهام Faversham ، الذي كان الملك ستيفن قد بناه، وفي السنة نفسها جرى تعيين يوحنا، راهب أوف سيز Seez ، أسقفاً ثانياً لجزيرة مان Man ، الواقعة فيما بين انكلترا وإيرلندا، ولكن أقرب إلى انكلترا، ولهذا السبب أسقفها تابع لرئيس أساقفة يورك، وكان أول الأساقفة هناك هو ويموند Wimund، وهو راهب من سيفني Savigny ، ولكن لفساد سلوكه جرى حرمانه من النظر، ونفي، ومات في السنة نفسها وليم، أسقف درم، وغيوفري [أوف مونهاوث Monmouth] الذي لقبه آرثر، وهو الذي ترجم تاريخ البريطانيين من البريطانية إلى اللاتينية، وكان قد عمل أسقفاً لسينت آساف Asaph في شمالي ويلز، وقد تقرر من قبل مجمع الرهبان السسترشيان عدم تأسيس أية ديرة جديدة لطائفتهم، لأن عددهم كان قد تجاوز الخمسائة، وجرى إعفاء جون بابيرو Rapiro الذي كان كاردينالاً في تلك الآونة، من وظيفة النائب البابوي، في إيرلندا، حيث أقام أربع رئاسات أساقفة، وأثناء مرور هذا النائب البابوي في انكلترا أقسم يمين الولاء للملك ستيفن.

حول الطريقة الاعجازية التي أفحمت فيها هرطقة هنري

في هذه الآونة، كسبت عقيدة هنري المهترق الفاسدة، كثيراً من القوة خاصة في غاسكوني، حتى أثار الرب روح فتاة شابة في تلك المنطقة، قامت بنقضها، لأن الهرطقة التي دعا إليها وبشر بها كانت مناقضة لمبادئ الإيمان، فقد تمددت هذه الفتاة لمدة ثلاثة أيام من كل أسبوع دونها صوت، أو شعور، أو تنفس، وعادت بعد ذلك إلى وعيها حيث

قالت بأن العذراء المباركة قد صلّت من أجل الشعب المسيحي، وأن القديس بطرس قد علمها العقيدة الكاثوليكية، ولذلك جادلت بحكمة بالغة حول العقيدة الكاثوليكية، وتمكنت بشكل خاص من دحض هرطقة هنري، وأعدت إلى صدر الكنيسة كثيراً ممن كان قد أضلهم.

حول بعض الأعمال الخالدة للامبراطور كونراد

ومات في السنة نفسها الامبراطور كونراد، وكان رجلاً حكيمًا، ومستقيمًا، وعنه قد قرأنا بأنه عندما كان حاضراً في أحد الأيام القداس اللاهوتي في اليوم الأول من أحد العنصرة، في إحدى المدن، بحضور رؤساء الأساقفة، والأساقفة، والأمراء العائدين للامبراطورية، نشب خلاف أثاره الشيطان بين رجال الدين المتقدم ذكرهم، وكان ذلك حول من منهم سيكون الأعلى مرتبة في الصف الكاتدرائي، وأن يكون الأقرب بالجلوس إلى جانب الامبراطور، وعندما كان الأساقفة ورجال الدين الآخرون يتخاصمون حول هذا، اندفع خدمهم بسيوف وهرات، واقتلعوا الفئة الأولى من مقاعدها، لكن ليس من دون ضراب، ووضعوا الفئة الأخرى في مكانها، وحطموا الحواجز والمنصات من على كل جانب، وسفكوا كثيراً من الدماء في الصرح المقدس، وانزعج الامبراطور كثيراً تجاه هذا المشهد، وأمر خدمه بطرد أولئك المنشقين من الكنيسة وتهدة الاضطراب، وكان هذا ما فعلوه، وانتقد الامبراطور رجال الدين بحدة، وأمرهم بالتكفير عن خرقهم لحرمة الكنيسة، خشية أن يغضبوا الروح القدس، وإلا فإنه سيرفض حضور القداسات في مثل هذه المناسبات المهيبة، وبذلك هدا الاضطراب، وتم عمل التكفير، حسبما هو مطلوب، وبدأت أعمال القداس، دونما التفات إلى أنه كان قد بدأ بمثل تلك الأعمال الطائشة، كما أظهرت الواقعة بوضوح، ومع ذلك تابعوا حتى وصلوا إلى قراءة الانجيل، لكن حدث أنه عندما شرع المرتلون بغناء البيت التالي: « أنت عملت هذا اليوم يوماً

مجيداً» رفع الشيطان صوته عالياً، وقال بشكل واضح، حتى أنه سمع من الجميع: «أنا عملت هذا اليوم يوم حرب» ولدى سماع هذا الصوت المتميز، نظر كل واحد نحو الآخر متسائلين عما يمكن أن يعني هذا، ثم إن الامبراطور، الذي كان رجلاً مخلصاً، وعبداً تقياً للرب، أدرك بأن هذا كان صوت الشيطان أراد عن قصد توبيخ الأساقفة والسخرية منهم ومن انقساماتهم، ولذلك أمر على الفور، بأن يقوم رئيس الأساقفة بالتوقف عن متابعة القداس، حتى تتم أعمال التكفير، لأن الروح القدس قد أغضب كثيراً، وهي التي اعتادت في مثل هذا الوقت على إنارة قلوب المؤمنين بكثير من الهبات الخفية.

ثم إنه أرسل جميع خدمه للتجول بشوارع المدينة والقيام بجمع كل الفقراء والعجزة، وحشدهم في داخل الكنيسة وفي خارجها، أي الكنيسة التي خرقت حرمتها، وقد أطعم الجياع، وأعطى شرباً إلى العطاش، وكسى العريانين، وأعطى أحذية إلى الذين احتاجوا إليها، وفعل الشيء نفسه إلى الشيوخ والمتقدمين بالسن، والمتمددين في فرشهم، في جميع أرجاء المدينة، كما أعطى كل واحد منهم قطعة من الذهب، وطلب منهم جميعاً الدعاء بطلب الرحمة الربانية، حتى لا تلحق الناس جريره تشامخ رجال دينهم، ولكي لا تحرمهم من حضور روح قدسه، فضلاً عن هذا خلع الامبراطور ثوبه الأرجواني، وارتدى ثوباً من المسوح، وسار على أرض الكنيسة حافي القدمين، حيث تولى خدمة الفقراء، وضرب مثلاً للجميع في تقديم الصدقات وفي التواضع، حتى رأى هذا الأمير المجيد أن بلاط الكنيسة قد تبلل بالدموع، وهو الذي كان قد تلوث بالدماء من قبل، ثم أعطى بثقة الأوامر بوجود الابتداء بالقداس، وقد أنهموا القداس بأعظم خشوع، وعندما وصلوا إلى ذلك البيت: «أنت عملت هذا اليوم يوماً مجيداً»، أمر الامبراطور بتكرار بيت الشعر من قبل جوقة المرتلين الثالثة، كطريقة للتعبير عن الانتصار على

الشيطان، وبعد الفراغ من ذلك أمر الجميع بالصمت لبعض الوقت، ليستمع هل سيقول العدو القديم شيئاً سخريه كما فعل من قبل، إنما بعدما انتظروا لبعض الوقت، ولم يسمعوا شيئاً، قال الامبراطور: «كونوا على ثقة بأن عدونا قد غادر وهو مضطرب»، وعندها ابتهج الجميع بالرب، وأوصلوا القداس إلى نهاية سعيدة، ومجدوا الروح القدس، التي ألهمت الامبراطور بهذا الرأي السديد، وقد خلفه في حكم الامبراطورية الرومانية حفيده فريديريك.

مات في هذه السنة البابا يوجينيوس ومات معه عدد كبير من الرجال الأغنياء

عام ١١٥٢م، فيه مات في شهر حزيران البابا يوجينيوس، وقد خلفه أناستاتيوس، وقد مكث في منصبه سنة واحدة وأربعة أشهر، وأربعة وعشرين يوماً، وجرت في هذا العام سيامة رتشارد دي بومي Beau-meis رئيس شامسة مدكس، أسقفاً للندن، وفارق هذه الحياة برنارد راعي دير كليرفو، وهنري مورداك Murdach رئيس أساقفة يورك.

وفي هذا العام، عندما كان يوستاس ابن الملك ستيفن ذاهباً لنهب أراضي القديس ادموند الشهيد، بتره الموت، وقد دفن في دير فيفرهام، الذي كان أبوه ستيفن قد بناه، ومات في العام نفسه داوود ملك الاسكتلنديين، وقد خلفه حفيده مالكولم.

كيف نزل الدوق هنري في انكلترا مع قوة

في هذا العام نفسه عبر إلى انكلترا هنري دوق نورماندي وأكوتين، وكونت بواتو وأنجو مع ست وثلاثين سفينة وجيش كبير، وفي الثامن من عيد الغطاس حاصر قلعة مالبري Malmesbury واستولى عليها، ثم تابع من هناك زحفه إلى كرومارش Crowmarsh، وألقى الحصار على القلعة، لكن تردد رسل بين الملك والدوق، وتمّ الاتفاق على أن

يقوم الملك بهدم تلك القلعة على حسابه، وهكذا تمّ التخلي عن الحصار، ولم يكن هذا بعيداً عن قلعة وولنغفورد، كما تسلم الدوق، هنري ملكية قلعتي ردنغ وبرایتول Brightwell ، وطردت غيمدرد Gimdred كونتسه ووروك عساكر الملك هنري من القلعة، وسلمت البلدة إلى الدوق هنري، الذي ازدهرت قضيته بهذه الوسائل كثيراً، وولدت في العام نفسه اليانور زوجة الدوق هنري له ولداً، أسماه وليم، وهو اسم عام بالنسبة لدوقات أكوطين، وكونتات أنجو.

حول المعاهدة بين الملك ستيفن والدوق هنري

عام ١١٥٣م، فيه عقد ستيفن والدوق هنري معاهدة في وولنغفورد، وجاء ذلك بفضل عدالة السماء، وحرص ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري وأساقفة المملكة، وجاءت المعاهدة كما يلي: بما أن الملك ستيفن محروم من الورثاء، باستثناء الدوق هنري فقط، لذلك جرى الاعتراف خلال اجتماع كامل للأساقفة مع نبلاء المملكة الآخرين، بالحق الوراثي للدوق هنري إلى مملكة انكلترا، ووافق الدوق بلطف على أن يقوم الملك ستيفن بالتمتع بالسلطة، كما يريد، حتى وفاته، على شرط أن يقسم الملك، والأساقفة، ونبلاء المملكة الآخرين، على أنه بعد وفاة الملك، سوف يتولى الدوق— إذا كان وقتها حياً— السلطة من دون أية معيقات، وبذلك تحققت نبوءة ميرلين Merlin التي تقول «سوف تؤذي التقوى الذي استحوذ على الأشياء من دون تقوى حتى يتملك (أي يتبنى) أباً» فمن الواضح: أن الملك ستيفن قد تبنى هنري ليكون وريثاً له، مع أنه لم يكن ابنه، وجعله شريكاً في المملكة، وخليفة له بعد وفاته، وانحنى الجميع إلى الدوق على أنه هو الملك، وإلى الملك على أنه هو الدوق.

ومنذ الآن فصاعداً سوف يستعيد الملك سلطاته الملكية، التي جرى اغتصابها في كل مكان من قبل نبلائه، وسوف تعود الأراضي التي جرى

نهبها، الآن، إلى أصحابها الشرعيين، الذين كانوا في أيام الملك هنري، وأما بالنسبة لقلع المتمردين التي بنيت بمبادرة منهم في أيام الملك، وعددها ألف ومائة وخمس عشرة قلعة، سوف يجري هدمها الآن، وسوف يقوم الملك الآن باسكان المزارع بالعمال، ويعيد بناء البيوت التي أحرق، وسيملاً المراعي بالقطعان، وسيغطي قمم التلال بالأغنام، وسوف يفرح رجال الدين لاستعادة الهدوء الصحيح، ولن يتعرضوا بعد الآن للظلم بمكوس غير عادلة، وسيعاد تعيين العمدة في أماكنهم المعتادة، ولن يعاني واحد منهم من الظلم، وسوف يظهرون الآن الرعاية والعناية نحو أصدقائهم، ولن يهملوا الجرائم بالتورط بها، وسوف يحمون كل انسان في ممتلكاته الخاصة به، وسوف يعاقبون المجرم، وأما اللصوص وقطاع الطرق فستكون عقوبتهم المشانق والاعدام، وسوف يحول الجنود— تبعاً لإشعيا— سيوفهم إلى سكك محارث، ورماحهم إلى مساحي، وسوف يعود الفلاح من المعسكر إلى المحراث، ومن الخيمة إلى ورشة عمله، وسيعود البقية مع السرور مع أتباعهم بعد متاعبهم في الحراسة، وسوف يتمتع الريفي بالاستقرار بسلام وهدوء، وسوف تغني التجارة التاجر، وسوف يجري ضرب نقد واحد جيد، وعام، للملكة كلها، وهكذا فإن الحرب التي استمرت لمدة سبعة عشر عاماً، ودمرت المملكة كلها، قد انتهت بهذه الواقعة، إلى الأبد.

حول الفارس أون الذي تولى التطهر وهو حي

بعدهما تأكدت المعاهدة التي أبرمت— كما روينا— بين الملك ستيفن والدوق هنري، حصل فارس اسمه أون Owen، كان قد خدم لسنين كثيرة في ظل الملك ستيفن، على إذن الملك، وذهب لزيارة والديه في إيرلندا، التي هي موطنه الأصلي، وبعدهما أمضى بعض الوقت هناك، بدأ يستعيد من ذاكرته صورة حياته الشريرة، التي أمضاها منذ صغره في

النهب والعنف، وتأسف بشكل خاص من خرقه لحرمة الكنائس، ومن غزو الممتلكات اللاهوتية، وذلك بالاضافة إلى ذنوب أخرى كثيرة كان قد أجرم باقترافها، وذهب وهو في حالة الأسف والتوبة هذه إلى أسقف تلك البلاد، الذي استمع إلى اعترافه، ولامه بقسوة، وأكد بأنه اقترف عدواناً عظيماً ضد رحمة الرب، وبدأ الفارس يفكر حول كيف يمكنه أن يظهر توبة حقيقية عن آثامه، ورغب الأسقف في أن يفرض عليه كفارة تكون عادلة نوعاً ما، وعلى ذلك ردّ الفارس: «إذا كنت تقول بأنني أغضبت خالقي إلى هذا الحد، فلسوف أخضع نفسي إلى كفارة تكون قاسية أكثر من المعتاد، ومن أجل إزالة ذنوبي، سوف أتولى تنفيذ الدخول إلى مطهرة القديس باتريك»، والرواية التالية هي التي أعطانا إياها مؤرخ إيرلندي قديم حول هذه المطهرة وأصلها.

حول طبيعة المطهرة المتقدم ذكرها

بينما كان باتريك الكبير يبشر حول عمل الرب في إيرلندا، ويكسب كثيراً من الاحترام بوساطة المعجزات التي قام بها هناك، رغب في أن يسترد من أعمال الشيطان ويخلص الناس ذوي الغرائز البهيمية لتلك البلاد، وذلك بوساطة التحذير من عذاب جهنم، والرغبة بالسعادة في الجنة، لكنهم أخبروه بأنهم لن يتحولوا إلى المسيح، ما لم يريهم أولاً بأعينهم الأشياء التي أخبرهم عنها، وبناء عليه، عندما كان القديس باتريك، متوجهاً نحو الرب، وهو صائم، وسهران، ومصلي، من أجل إنقاذ ذلك الشعب، ظهر ابن الرب إليه، واقتاده إلى مكان مهجور، حيث أراه كهفاً مستديراً، ومظلماً في الداخل، وقال له: «إن كل من هو في توبة حقيقية، وإيمان ثابت، وسوف يدخل إلى هذا الكهف لمدة يوم وليلة، سوف يتطهر من جميع الذنوب، التي اقترفها ضد الرب، طوال حياته كلها، وهو سوف لن يرى فقط عذاب الشقي، بل إنه إذا ما حافظ بثبات على محبة الرب، سوف يكون أيضاً شاهداً على بهجة

المباركين».

ثم اختفى المسيح، وكان القديس باتريك مسروراً لرؤيته المسيح، ولاكتشافه الكهف، وصار أخيراً واثقاً من أنه سوف يكون قادراً على تحويل الناس التعساء في ايرلندا إلى الايمان الحقيقي بالمسيح، ثم إنه قام— بناء عليه— على الفور ببناء خلوة فوق تلك البقعة، وأحاط بسور الكهف الذي كان في أرض مقبرة قائمة أمام الكنيسة، ووضع باباً هناك، وبذلك بات من غير الممكن لأي انسان الدخول إلى هناك من دون إذن، ثم عين بعد ذلك هناك طائفة من الرهبان النظاميين، وأعطى المفتاح إلى رئيسهم، مع أوامر أنه كل من يأتي إلى رئيس الرهبان مع إجازة من الأسقف في تلك المنطقة، ينبغي السماح له بالدخول إلى المطهرة، وحصل عدد كبير من الناس على شرف ذلك الامتياز عندما كان القديس باتريك ما يزال حياً، وعندما كانوا يخرجون كانوا يشهدون بأنهم شاهدوا عذاب الأشرار، وكذلك السعادة التي لا يمكن وصفها التي تمتع بها الأخيار.

كيف بإذن من الأسقف دخل أون إلى المطهرة

وبناء عليه ثابر الفارس المتقدم ذكره على طلب الإجازة المطلوبة، ولدى رؤية الأسقف اصراره منحه رسالة إلى رئيس الرهبان، طالباً منه العمل وفق الطريقة المعتادة، وبعدما قرأ رئيس الرهبان الرسالة، اقتاد الفارس إلى الكنيسة، حيث بقي مصلياً لمدة خمسة عشر يوماً، وبعد انتهاء هذه المدة، أقام رئيس الرهبان أولاً قداساً، وقدم إليه القربان المقدس، ثم اقتاده إلى باب الكهف، الذي كان مفتوحاً، ورش عليه الماء المقدس، وقال: «إنك سوف تدخل إلى هنا باسم يسوع المسيح، ولسوف تسير خلال الكهف حتى تصل إلى سهل مفتوح، حيث ستجد قاعة قد بنيت بشكل بارع، ادخل إليها، ولسوف يرسل إليك الرب أدلاء يتولون اخبارك بالذي يتوجب عليك فعله»، ودخل الرجل إلى هذا الموضع

للاصطراع مع الشياطين، بشجاعة، وعهد بنفسه إلى صلوات الجميع،
ورسم على جبينه علامة الصليب المقدس، ثم اجتاز الباب بجرأة،
وأغلق رئيس الرهبان الباب خلفه، وعاد في مسيرة إلى الكنيسة.

كيف وصل الفارس إلى القاعة المتقدم ذكرها وكيف دخل إليها

واجتاز الفارس بشجاعة خلال الكهف كله حتى صار وسط ظلام
كامل، وأخيراً بدأ الضوء ينزل عليه من جديد، ووجد نفسه في السهل
حيث كانت القاعة التي أخبر عنها، ولم يكن الضوء أكثر من ضوء
الغسق، ولم تكن القاعة محاطة بجدران بل بأعمدة، مثل السدة داخل
الدير، وقد دخل إليها، وجلس ينظر من حوله في جميع الاتجاهات،
ويتعجب من جمال البناء، وبعدهما جلس هناك لوقت قصير، دخل إلى
القاعة خمسة عشر رجلاً في أردية بيضاء يشبهون السماويين وقد حلقوا
شعورهم منذ وقت قصير، وجلسوا، وحيوه باسم الرب، والتزموا بعد
ذلك بالصمت باستثناء واحد منهم قال له: «بورك الرب القدير، الذي
ألهمك اتخاذ هذا القرار الصالح، بالدخول إلى هذه المطهرة من أجل
التخلص من جميع ذنوبك، وعلى كل حال، إنك مالم تتصرف بنفسك
بشجاعة، سوف تهلك بالجسد والروح معاً، لأننا عندما سنترك هذا
المبنى، سوف يمتلىء بحشد من الأرواح غير الطاهرة، الذين سوف
يعذبونك كثيراً، ويهددونك بعذاب أكبر، وهم أيضاً سوف يعدونك
باقتيادك إلى الباب الذي دخلت منه، إذا ما امتلكوا فرصة لخداعك،
وبذلك لن تستطيع الخروج ثانية، وإذا ما سمحت لنفسك بأن تقهر
بتعذيبهم، أو ارتعبت من تهديداتهم، أو خدعت بوعودهم، وتراجع
ووافقت، فإنك سوف تهلك بكل من الروح والجسد، وإذا ما كنت—
على كل حال— ثابتاً بالايان، واضعاً كل أملك بالرب، ولم تستسلم
أمام تعذيبهم أو تهديداتهم، أو وعودهم، بل رفضتهم جميعاً بمجاميع
قلبك، فإنك سوف تتطهر من جميع ذنوبك، ولسوف تشاهد تعذيب

الأشرار، وراحة الأخيار، وطوال الوقت الذي سوف يعذبك به هؤلاء الشياطين، ادع اسم الرب يسوع المسيح، وبدعوتك لاسمه، سوف تتخلص على الفور من جميع عذابهم، ولايمكننا الآن البقاء معك مدة أطول، وسنعهد بك إلى الرب القدير.

كيف عذب الشياطين الفارس بشكل مؤثر

وبناء عليه ترك الفارس لوحده، وأعد ذهنه لمواجهة نوع جديد من الصراع، وما أن فرغ من تهيئة نفسه لتكون شجاعة حتى سمع ضجة حول المبنى، وكأنها صادرة عن جميع رجال الدنيا مع الحيوانات والدواب، وكأنها معمولة من قبلهم جميعاً، وجاءت بعد هذه الضجة أشباح مرعبة من الشياطين البشعة، وقد تدفقت حشود هائلة منها إلى داخل القاعة، وباستخفاف وسخرية خاطبوا الفارس قائلين: «إن الرجال الآخرين الذين يخدموننا، قانعين بالانتظار حتى موتهم، وذلك قبل أن يقدموا، ولكن حضرتك شرفت هذه الجماعة من أسيادك، بأن قدمت إلينا بالروح والجسد وأنت ماتزال حياً، فهل جئت لتتلقى عقوبة على ذنوبك؟ إنك سوف لن تتلقى سوى الحزن والأسى بيننا، ولكن بما أنك خادم غيور لنا، إذا مارغبت بالعودة من خلال الباب الذي منه قدمت، سوف نقفادك إلى هناك دون التعرض للأذى، حتى تتمكن من تمتيع نفسك ثانية بالدنيا وبجميع مسراتها، وهكذا تكلم الشياطين راغبين في خديعته بالتهديد أو بالإطراء، لكن جندي المسيح لم يخف لا من تهديداتهم، ولم يقنع بإطراءاتهم، وأدار نحوهم أذنا صماء، ولم يجبههم ولا بكلمة، وغضب الشياطين لمعاملتهم باللامبالاة، فأشعلوا ناراً عظيمة في القاعة، وأمسكوا الفارس بيديه ورجليه ورموه في وسطها، وسحبوه بكلاليب حديد نحو الأمام ونحو الخلف في النار، وعندما شعر للوهلة الأولى بالعذاب دعا اسم يسوع المسيح قائلاً: «ارحمه يايسوع المسيح»، وبقوة هذا الاسم انطفأت النار، ولم يبق منها شرارة

واحدة، ولدى إدراك الفارس لذلك لم يعد يخشاهم، لأنه شاهد بأنهم زالوا باسم المسيح.

حول مكان العقاب الثاني الذي اقتيد الفارس إليه

وغادر الشياطين القاعة الآن، وجروا الفارس خلال قفار سوداء ومظلمة، نحو مكان حيث تشرق الشمس في الصيف، وبدأ الآن يسمع ولاويل، وكأنها صادرة عن جميع شعوب الدنيا، وأخيراً جر من قبل الشياطين إلى سهل طويل وعريض، ملىء بالمصائب والآلام، وكان طويلاً إلى حد أنه كان من غير الممكن رؤية ماوراءه، وكان مليئاً بأشخاص من كلا الجنسين ومن كل سن، كلهم عريان وجالس مع أمعائهم ممتدة حتى الأرض، لأن أجسادهم وأطرافهم كانت مربوطة بالأرض بشكل مرعب، وذلك بوساطة مسامير من الحديد محماة ومغروسة بالأرض، وكانوا يقومون أحيانا وهم يتألمون ويعانون بقضم الرمال، وهم يصرخون ويولولون قائلين: «أبقنا، أبقنا، ارحمنا، ارحمنا»، مع أنه لا يوجد هناك من يرحمهم أو يبقئهم، ويدوس الشياطين فوق هؤلاء المخلوقات التعساء وهم يوجهون إليهم ضربات ثقيلة، وذلك أثناء مرورهم، وقد قالوا للفارس: «إن صنوف العذاب هذه التي تشاهدها، سوف تعاني أنت منها شخصياً، ما لم توافق على أن تقاد إلى الباب الذي دخلت منه، ولسوف يجري اقتيادك إلى هناك بسلام»، لكن الفارس تذكر كيف أن الرب قد أنقذه من قبل، أصم أذنه تجاه ما قالوه، ثم إنهم رموه أرضاً، وحاولوا أن يسمروه إلى الأرض مثل الآخرين، ولكنه عندما دعا اسم يسوع المسيح لم يعودوا قادرين على إلحاق المزيد من الأذى به في ذلك المكان، ولذلك جروه بعيداً إلى سهل آخر مفتوح، ولاحظ هنا الفرق التالي بين الناس الذين كانوا هنا والناس الذين كانوا في المكان الأول، ففي الوقت الذي كانت فيه أمعاء الأول مربوطة إلى الأرض فإن جميع الذين كانوا هنا كانوا متمددين على ظهورهم، وكانت

هناك تينيات نارية جالسة فوق بعض منهم، وهي تقضمهم بأسنان حديدية، ولذلك كانوا يعانون من آلام لا يمكن التعبير عنها، وكان آخرون ضحايا ثعابين نارية، التفت حول رقابهم، وأذرتهم، وأجسادهم، وكانت هناك أوتاد حديدية مثبتة في قلوبهم، وأيضاً جلست علاجيم ذات أحجام ضخمة جداً، ومرعبة أن تنظر إليها، على صدور بعضهم وحاولت تمزيق قلوبهم بمناقيرها القبيحة، ومشت الشياطين أيضاً عليهم وهي تجلدتهم أثناء مرورها، بحيث لم تسمح لهم بدقيقة راحة من عذابهم، ثم إن الشياطين جروا الفارس إلى سهل آخر للتعذيب، حيث كان هناك حشد عظيم بدا وكأنه أكثر عدداً من سكان العالم كله، وكان بعضهم معلقاً فوق نار فحم مشتعلة، بوساطة سلاسل حديدية مربوطة بأقدامهم وأرجلهم ورؤوسهم باتجاه الأسفل، وكان آخرون معلقون بأيديهم وأذرتهم، وبعضهم بشعور رؤوسهم، وكان بعضهم معلقاً بكلايب حديدية محماة فوق اللهب، وكانت الكلايب مارة من خلال أعينهم وفتحات أنوفهم، وبعضهم كان معلقاً من خلال أذانهم وأفواههم، وآخرون من خلال صدورهم وأعضائهم السرية، ووسط أنيهم وولاوليلهم، لم تتوقف أعمال الجلد من قبل الشياطين لحظة واحدة، وهنا حاول العدو في هذا المكان الآخر للتعذيب، تعذيب الفارس، لكنه دعا اسم يسوع، فكان آمناً.

حول الدولاب الحديدي المحمي حتى بات أحمر

ومن مكان التعذيب هذا، جر الشياطين الفارس إلى دولاب حديدي محمي، وكانت اشعاعات الدولاب وأطره مثبة بمسامير حديدية محماة، وعليها جرى تعليق أناس، احترقوا بلهب الفحم المحترق بشكل فظيع، وكان اللهب منبعثاً من الأرض، وحرك الشياطين هذا الدولاب بقضبان حديدية، بسرعة بلغت حداً بات فيها من غير الممكن تمييز انسان عن آخر، لأنه بسبب سرعة الحركة بدوا جميعاً وكأنهم كتلة واحدة من النار،

وعانى آخرون من أنواع مساوية من العذاب، حيث جرى تثبيتهم إلى أوتاد، وأجلسوا من قبل الشياطين في معدن ذائب، في حين كان آخرون يجري شيهم في أفران، أو فوق مقالي مشتعلة، وفضلاً عن هذا رأى الفارس، لدى سحب أدلائه له، بيتاً مليئاً بعدد كبير من المراجل، كانت مليئة بأسفلت ذائب، وبكبريت ومعادن ذائبة، وكان فيها مخلوقات بشرية من كلا الجنسين، ومن جميع المراتب والأعمار، وكان بعضهم غاطسين كلياً، وبعضهم حتى أعينهم وآخرون حتى شفاههم ورقابهم، وآخرون حتى صدورهم، وآخرون أيضاً حتى ركبهم وأرجلهم فقط، وكان بعضهم يده أو قدمه مغطسة، وبعضهم كلاهما معاً، وكان الجميع يولولون، ويصرخون بشكل مؤلم بسبب معاناتهم الكبيرة وآلامهم، وعندما حاول الشياطين اغراق الفارس في المراجل مع البقية، دعا اسم المسيح، وقد أنقذه ذلك.

حول الريح القوية والنهر الآسن

ودفع الشياطين الآن بالفارس إلى قمة جبل مرتفع، وأروه عدداً كبيراً من الناس من كلا الجنسين، ومن مختلف الأعمار، كلهم كانوا جالسين وهم عراة منحنين حتى أصابع أقدامهم، واتجاههم نحو الشمال، ومن الواضح أنهم كانوا ينتظرون برعب وصول الموت، وفجأة هبت زوبعة من الشمال جرفتهم والفارس معهم، وحملتهم وهم يبكون وينوحون إلى جزء آخر من الجبل، إلى نهر بارد وآسن، وعندما حاولوا الخروج من مياهه الباردة، سار الشياطين فوق وجه الماء، وجعلوهم يغطسون ثانية في أعماقه، ودعا الفارس -على كل حال- اسم المسيح، فوجد نفسه على الفور على الضفة الأخرى، ثم جره الشياطين نحو الجنوب، وأروه لهب له بعض الضجيج، وكان هذا اللهب مرتفعاً مع رائحة أسنة صادرة من بئر هناك، فوّه رجال عراة، لونهم أحمر من شدة الحرارة، وقد قذف بهم في الهواء مثل الشرار، وعندما كان اللهب يجبو كانوا يسقطون في الهوة

تحتهم، وقال الشياطين للفارس: «إن ذلك البئر الناري هو المدخل إلى جهنم، حيث نعيش، وبما أنك خدمتنا باخلاص حتى الآن، إنك سوف تبقى معنا هنا إلى الأبد، وإذا مادخلت إلى هذه الهوة فإنك سوف تهلك جسداً وروحاً معاً، ولكن إذا أصغيت لنا حتى الآن، وعدت إلى الباب الذي جئت منه، فإنك سوف تعبر دون أن تصاب بأذى»، لكن الفارس اعتمد على عون الرب، الذي غالباً ما أنقذه، فجعل أذنه صماء تجاه جميع تحريضاتهم، وغضب الشياطين، فاندفعوا نحو هوة نارية، وجروا الفارس معهم، وكان كلما ذهب أعمق، صارت الهوة أوسع، وكانت العقوبات التي شاهدها أكثر رعباً، وفي تلك الهوة، شعر الفارس أيضاً بالرعب والتعاسة، حتى أنه نسي لبعض الوقت الذي أيده وسانده، لكن أخيراً بنعمة من الرب، دعا اسم يسوع، وعلى الفور جرى دفعه وأخرجه بوساطة اللهب إلى الهواء الطلق في الأعلى، حيث وقف لبعض الوقت وهو مندهش ومصعوق، إنها فجأة، ظهر بعض الشياطين الجدد من فم الهوة وقالوا له: «أنت ياهذا، الواقف هناك، لقد أخبرك رفاقنا بأن هذا فم الجحيم، لكن الأمر ليس كذلك، فنحن معتادون على الإخبار بالأشياء الزائفة، ذلك أننا إذا لم نستطع الخداع بالحقيقة والصدق، نحاول ذلك ونفعله عن طريق الزيف، إن هذه ليست الجحيم، بل نحن سوف نقودك إلى هناك».

حول الجسر الذي كان ضيقاً وعالياً ومنزلقاً

وجر هؤلاء الأعداء الجدد الفارس مع ضجة مرعبة إلى نهر عريض وآسن، مغطى باللهب ونار الفحم المحترقة، وهو مليء بالشياطين، الذين أخبروه أنه تحت ذلك النهر توجد جهنم، وكان هناك جسر ممتد فوقه، فيه ثلاثة عوائق مرتبطة به، لا يمكن تجاوزها، ففي المقام الأول كان منزلقاً، ومع أنه كان عريضاً كان من المستحيل على أي إنسان الوقوف ثابتاً عليه، وفي المقام الثاني كان ضيقاً إلى حد أنه من غير

الممكن لأحد السير عليه أو حتى الوقوف عليه، وفي المقام الثالث كان عالياً فوق النهر إلى حد أنه كان يزيغ البصر أن تنظر منه نحو الأسفل، وقال له الشياطين: «عليك عبور ذلك الجسر، والريح التي سوف تقذفك إلى النهر الآخر، سوف تقذفك إلى هذا، ووقتها سوف يلقي القبض عليك من قبل رفاقنا الذين هم في النهر، ومن ثم سيغرقونك في هوة الجحيم»، لكن الفارس قام بالدعاء إلى اسم يسوع المسيح، ووضع قدميه على الجسر، فوجد أنه كلما صعد أكثر، ومضى أبعد، صار الجسر أعرض، حتى صار عريضاً مثل طريق عام، ولدى رؤية الشياطين أن الفارس يسير من دون عوائق عبر الجسر، حركوا الهواء بصرخات عالية، مما أزعج الفارس وضايقه أكثر من جميع العذاب الذي تحمله من قبل منهم، وقام آخرون من أعدائه، كانوا تحت الجسر بإلقاء كلاب حديد محماة نحوه، لكنهم لم يستطيعوا لمسه، وهكذا عبر الجسر بأمان، لأنه لم يتواجه مع أي شيء يمكن أن يمنعه.

كيف تحرر الفارس من شرور الشياطين

تحرر الفارس الشجاع الآن من تعذيب هذه الأرواح غير النظيفة، ورأى أمامه جداراً عالياً، معمولاً بشكل رائع، وفيه باب واحد، كان مغلقاً، وكان هذا الباب مزيناً بحجارة كريمة لمعت بشكل مضىء، وعندما اقترب الفارس من الباب، انفتح الباب، وصدرت عنه رائحة طيبة، بها استرد الفارس شجاعته، وانتعش من كل ماعانى منه من عذاب، وقدم إلى استقباله مسيرة لم ير مثلها في العالم، وكانت المسيرة أثناء تقدمها تحمل الصليب مع الشموع، والأعلام، وسعف النخيل الذهبية، وقد تبعها حشد من النساء والرجال من كل مرتبة، ورؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الأديرة، والرهبان، والكهنة، ورجال دين من جميع المراتب، وكانوا جميعاً في الملابس المقدسة الموافقة لرتبهم، وقد استقبلوا الفارس بتحيات سارة، وبأغاني لامثيل لها في عدوبتها،

واقْتادوه وسط ذلك إلى داخل باب النصر، ولدى انتهاء الغناء، تحدث معه اثنان من رؤساء الأساقفة، وباركوا الرب الذي أضفى على روحه الشجاعة حتى قاوم العذاب الذي مرّ خلاله، وعانى منه، ولدى اقتياده خلال المنطقة أروه أجمل المروج التي كانت مزينة بمختلف أنواع الورود، والثمار، مع كثير من أنواع النباتات والأشجار، وتمتع بالروائح الطيبة التي تصور أنه من الممكن العيش عليها إلى الأبد، ولم يتوفر شعور بالظلام في تلك المنطقة، لأنها كانت مضاءة بنور شعشعاني سماوي لا يتوقف أبداً، وشاهد هناك حشداً عظيماً من الرجال والنساء، كانوا من كثرة العدد إلى حد إفتراض فيه أن بقية العالم لا يمكنه أن يستوعب مثلهم، واعتلت فرقة المرتلين سدة المرتلين، وكلهم مجدوا الرب بأغاني عذبة، الرب خالق كل شيء، وقدم بعضهم وهم متوجون مثل الملوك، وكان آخرون يرتدون ملابس ذهبية، وبعضهم الآخر ملابس ثمينة مختلفة الألوان، وذلك وفقاً لما كانت عليه عاداتهم، عندما كانوا في هذا العالم، وفرح بعضهم لسعادتهم، وآخرون لتحرر ولسعادة البقية، وكلهم عندما رأوا الفارس، شكروا الرب، على وصوله، وهنأوه على نجاته من منطقة الموت، وما من واحد هناك شعر بحر أو برد، كما أنه لم يشاهد هناك أي شيء يمكن أن يسبب عدواناً أو أذى.

كيف اقتيد الفارس إلى الجنة السماوية حيث شاهد سرور المباركين

ثم قال الأحبار المقدسون، الذين جعلوا الفارس يرى هذه المنطقة البهية، له: «بما أنك، بفضل رحمة الرب، قد وصلت إلى بيننا دونما أذى، عليك أن تسمع منا شرحاً لكل ما شاهدته، فهذه المنطقة هي الجنة الدنيوية، التي طرد منها الانسان لذنوبه، وغرق في تلك الأوضاع التعيسة، التي يموت فيها الناس في الدنيا، ونحن جميعاً الذين هنا قد ولدنا بالجسد، وفي الذنب الأصيل، وبإيماننا بالرب يسوع المسيح، الذي

تلقيناه بتعميدنا، رجعنا إلى هذه الجنة، لكن بما أننا اقترفنا ذنوباً فعلية من دون احصاء، وكان ذلك بعد تعميدنا، لقد أمكن فقط بعد تطهيرنا من ذنوبنا، وبعد تلقينا العقوبة من أجلهم، أن استطعنا الوصول إلى هذا المكان، لأنه التوبة التي قمنا بها قبل موتنا، أو أثناء ساعة الموت، لكننا لم نكملها على الأرض، كان لابد من التكفير عنها بالمعاناة في أماكن العقوبات التي رأيتها، وذلك وفقاً لطبيعة الذنب وكبره، وكلنا جميعاً الذين نحن هنا قد مررنا بأماكن العقوبات تلك من أجل ذنوبنا، وجميع الذين رأيتهم هناك يعانون من العقوبات، سوف يقدمون إلى مكان الراحة هذا، ويتم خلاصهم أخيراً، إلا باستثناء أولئك الذين كانوا عند فم الهوة الملتهبة وفيها، والذين يتم خلاصهم يأتي بعضهم كل يوم إلى هنا، وقد تطهروا من ذنوبهم، ونحن نذهب لاستقبالهم، وجليهم إلى الداخل، كما فعلنا معك، وما من واحد منا يعرف كم من الوقت سوف نبقى هنا، إنها بوساطة القداستات، والمزامير، وبالمساعدات والصدقات وبصلوات الكنيسة المسكونية، وكذلك بالمساعدات الخاصة من أصدقائهم، سوف تقلل كثيراً عقوبات الذين في المطهرة، أو أنهم سيتلقون نوعاً من العقوبات الخفيفة، عوضاً عن الذين أدينوا أولاً، حتى يمكن في النهاية خلاصهم جميعاً، وهكذا كما ترى نحن هنا نتمتع كثيراً بالهدوء، مع أننا لسنا مؤهلين بعد ولا جديرين بالدخول في السعادة الكاملة، في الجنة، وكل واحد منا، سوف يعبر، عندما يحل الوقت الذي حدده الرب، إلى ملكوت السماء، وفقاً لما سيهيئه الرب.

كيف أنعش الفارس بالرؤيا السماوية وتقوى بالطعام الروحي

وقاد الأبحار المبحلون الفارس الآن إلى الجانب المنحدر من الجبل، وأمروه أن ينظر نحو الأعلى، الأمر الذي عندما فعله، سألوه عن لون السماء بالنسبة للمكان الذي وقف عليه، فأجابهم اللون مثل لون

الذهب عندما يكون حاراً أحمر في الأتون، فقالوا له: «إن هذا الذي أنت تراه الآن، هو مدخل إلى السماء، وإلى الجنة السماوية، وذلك أنه عندما يغادرنا واحد منا، فإنه يصعد على هذا الطريق إلى السماء، ومادما نحن باقين هنا، فإن الرب يطعمنا من الطعام السماوي، الذي سنجعلك تتذوق طبيعته الآن»، وما أن اكتمل التفوه بهذه الكلمات، حتى نزلت حزمة من الضوء من السماء، غطت المنطقة كلها، أما اللهب المستقر في حزمة الضوء، على رأس كل شعاع منها، فقد دخل إلى أجساد الجميع، وشعر الفارس بلذة حلاوة أنعشت فؤاده وجسده كله، حتى أنه لم يعد يعرف فيما إذا كان حياً أم ميتاً، لكن هذا الشعور مرّ بلحظة وعبر، وود بسرور أنه لو بقي إلى الأبد في هذا المكان، ولو أنه استطاع التمتع بهذه المسرات، لكن عندما صار في المكان الآخر، جرى إخباره بأشياء أخرى ليست سارة بالقدر نفسه، فقد قال له الأبحار المقدسون: «بما أنك الآن ألقيت بناظريك على مسرات المباركين، وذلك وفقاً لرغبتك وأيضاً رأيت جزئياً عذاب الأشرار، يتوجب عليك العودة عبر الطريق الذي جئت عليه، وإذا (لاسمح الرب) عندما تعود إلى الدنيا، مارست حياة شريرة، فقد رأيت هنا العذاب الذي هو بانتظارك، وإذا - على كل حال - مارست حياة جديدة ودينية، يمكنك أن تعتمد على عودتك إلينا ثانية، وذلك عندما تتحرر روحك من الجسد وعليك أن لاتكون خائفاً من تعذيب الشياطين على طريق عودتك، لأن الشياطين لن يكونوا قادرين على الاقتراب منك، كما أن تعذيبهم الذي شاهدته لن يؤذيك»، ورد الفارس وهو يبكي: «إنني غير قادر على العودة من هذا المكان، لأنني أخشى من أن ضعف الطبيعة البشرية، سوف يقودني إلى الخطيئة، ومن ثم سوف أمتنع من العودة» فقالوا له: «إن هذه الأشياء ليست كما ترغب، بل ستكون وفقاً لرغبة الذي خلقنا نحن وأنت»، ووقتها اقتيد الفارس عائداً إلى الباب مع الأسف والنواح، وبعدما اجتاز الباب مكرهاً، أغلق خلفه.

كيف كرس الفارس نفسه بعد عودته

إلى الدنيا على الحج إلى القدس

وعاد الفارس أون عبر الطريق نفسه كما كان قد ذهب إلى القاعة المتقدم ذكرها، لكن الشياطين الذين رأهم أثناء عودته قد فروا منه مذعورين، وأنواع العذاب التي مرّ من خلالها كانت غير قادرة على إيذائه، وعلى الفور عندما دخل إلى القاعة، مجدّ الخمسة عشر رجلاً، الذين تقيم وصفهم، الرب، وحمده لمنحه تلك الحماية تحت العذاب، وقالوا له: «عليك أن تغادر من هنا بكل سرعة، لأن اليوم هو في فجره في بلادك، وإذا لم يجدهك رئيس الرهبان، عندما سيفتح الباب، هو سوف يظن أنك ضعت، ولسوف يغلق الباب، ويعود إلى الكنيسة»، وعندما تلقى الفارس مباركتهم، أسرع عائداً، فالتقى برئيس الرهبان في اللحظة التي فتح بها الباب، وقد اقتاده مع الحمد والشكر إلى المسيح، وأدخله إلى الكنيسة، حيث بقي لمدة خمسة عشر يوماً في الصلاة.

وحمل بعد هذا شارة الصليب، وانطلق إلى الأرض المقدسة، ساعياً للتأمل المقدس في ضريح ربنا وفي الأماكن المقدسة الأخرى، وعاد من هناك إلى الوطن بعدما وفي بنذره، وتقدم بالرجاء إلى مولاه الملك ستيفن، حتى يتمكن من إمضاء بقية حياته في خدمة الدين، وأن يصبح جندياً في جيش ملك الملوك، وحدث في تلك الآونة، أن حصل غيرفياش Gervais راعي دير لاوث Louth من الملك ستيفن على منحة أرض حتى يبني عليها ديراً في أيرلندا، وقد بعث واحداً من رهبانه، واسمه غيلبرت إلى الملك، ليحصل على ملكية الأرض، وليبني عليها الدير، ومثل غيلبرت أمام الملك، واشتكى إليه بأنه لم يعرف لغة تلك البلاد، وعليه ردّ الملك بأنه بعون الرب سوف يجد على الفور، له مترجماً قديراً، ودعا أون للمثول أمامه، وأمره بالذهاب مع غيلبرت والبقاء في أيرلندا، وجاء هذا موافقاً لأون، الذي ذهب وهو مسرور مع

غيلبرت، وخدمه باخلاص، لكنه لم يرتد ثوب الرهبان، لأنه اختار، أن يكون بالحري خادماً وليس سيّداً، وقد عبرا إلى إيرلندا، وبنيا ديراً، فيه عمل الفارس أون مترجماً للراهب وخادماً مخلصاً في كل ما عمله، وكانا كلما جلسا منفردين، كان الراهب يسأله بدقه فيما يتعلق بالمطهرة، وعن أشكال التعذيب المدهشة، التي رآها هناك وشعر بها، وقام الفارس، الذي لم يكن يستطيع السماع حول المطهرة دون البكاء بمرارة، بإخبار صديقه، من أجل تنويره، إنما بشرط السرية المطلقة، بكل ما رآه وماعاناه، وأكد له بأنه رأى كل ذلك بعينه، وبعناية واهتمام من قبل هذا الراهب قام بتدوين كل ما رآه ذلك الفارس، وذلك مع حكايات الأساقفة ورجال اللاهوت الآخرين لتلك البلاد، الذين في سبيل الصدق، أعطوا شهادتهم على تلك الحقائق.

كيف جرى دس السم لوليم رئيس أساقفة يورك وموته

عام ١١٥٤م، عين في هذا العام البابا أناستاسيوس خليفة لهنري رئيس أساقفة يورك، الذي كما كنا قد ذكرنا كان متوفى، والذي عينه هو وليم، الذي كان البابا يوجينيوس قد عزله من قبل، وأعطاه الطيلسان في روما، وبحضوره تولى سيامة هيوج دي بوسات Pusat، حفيد الملك ستيفن، كأسقف لدرم، لكن بعد وقت قصير من عودة رئيس الأساقفة نفسه إلى منصبه، وأثناء قيامه بقداس مات، من سنم أخذه - كما قيل - من كأس القربان، وقد خلفه روجر رئيس شمامسة كانتربري.

وعبر في هذا العام هنري دوق نورماندي إلى نورماندي، واستأنف إلى درجة بعيدة سلطات حكمه للممتلكات التي كان والده قد أعطاه إياها، وتوجه من هناك إلى أكوتين، حيث قضى بيد قوية على عصيان بعض بارونات.

ومات في العام نفسه البابا أناستاسيوس، وقد خلفه نيقولا أسقف

أوف ألبانوا، الذي اتخذ لنفسه اسم أدريان، وكان رجلاً متديناً، وكان من الشعب الانكليزي، وقد ولد في ممتلكات دير القديس ألبان.

وفي تلك الآونة نفسها عقدت معاهدة بين لويس ملك فرنسا، وهنري دوق نورماندي، وفق الشروط التالية: يعيد الملك فيرنويل Ver-neuil ونوفمارشي Neufmarche إلى الدوق، الذي دفع إليه ألفي مارك من أجل نفقات أخذ، وحفظ، وتحصين هاتين القلعتين.

موت الملك ستيفن وتتويج الدوق هنري

ومات في العام نفسه ستيفن الملك الشجاع والتقوي، وكان ذلك في الخامس والعشرين من تشرين الأول، ودفن جسده في دير فيفهرام، الذي هو أسسه، وذلك حيث كان قبل وقت قصير جرى دفن زوجته ماتيلدا، وابنها يوستاس، وعندما سمع هنري دوق نورماندي بوفاة ستيفن، قدم إلى باريفلون Barbefloun، حيث انتظر لمدة شهر محجىء ربح مناسبة حتى يعبر القنال، وكان هناك في الوقت نفسه هدوء عظيم جداً في انكلترا، وهو نادراً ما حدث عندما يموت ملكها، وكان سبب ذلك المحبة والخوف اللذان شعر بهما الناس تجاه الدوق هنري، حاكمهم المقبل، وفي السابع من كانون الأول نزل في انكلترا، وقد استقبل بسرور عظيم من قبل كل من رجال الدين والعلمانيين، وفي التاسع عشر من كانون الأول الذي كان الأحد التالي قبل يوم الميلاد، أعلن عنه ملكاً وسط احتفال عام، وجرى تتويجه في وستمنستر، من قبل ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري، وكان ذلك بحضور، رؤساء الأساقفة، والأساقفة وبارونات كل من انكلترا ونورماندي، وما أن جرى تتويجه حتى شرع بممارسة سلطته على المدن، والقلاع، والبلدات العائدة للتاج، وبتدمير القلاع المتمردة، ويطرد الأجانب، وبشكل خاص الفلمنكيين، من المملكة، ويخلع الإيرلات المزيفين، الذين كان سيتفن قد أنفق عليهم جميع واردات الخزينة تقريباً.

وحشد في السنة نفسها بلدوين، ملك القدس، جيشاً كبيراً، وحاصر عسقلان، التي استسلمت بعد حصار طويل إليه على شرط امتلاك الأتراك الذين فيها هم وأزواجهم وأولادهم حق المغادرة لها مع جميع ما يملكون، وبعد ذلك استسلمت المدينة إلى الملك، الذي أعطاها إلى أخيه كونت يافا، ليحتفظ بها لنفسه.

حول حياة القديس وولفرك الناسك

وغادر في العام نفسه الناسك المقدس وولفرك Wulfric أوف هيزلبيرغ Heselberg هذه الحياة، وبذلك أنهى حرباً سعيدة ومنتصرة، استمرت تسعة وعشرين عاماً، ضد أعداء بني الانسان، وبشأن حياته وفضائله، نعتقد أننا لن نخرج عن الموضوع إذا ما قدمنا عنها عرضاً موجزاً، نزين به التاريخ: كان القديس وولفرك قد ولد من أسرة انكليزية، في أوضاع عادية، في كونتون، التي كانت قرية على بعد ثمانية أميال عن برستول، فهناك كان أيضاً قد تعلم، وأمضى بضعة أعوام في طائفة دينية، حيث من المعتقد أنه استقبل هناك باستخفاف في طيش الشباب، وليس باستقرار هدف عقله، لأنه لم يعرف الرب، وبالبحري اقتيد بالجدس وليس بالروح، وقد أمضى كثيراً من وقته بين الكلاب والصقور، وفي أحد الأيام عندما كان منشغلاً في مثل هذه الأعمال، جاء إليه رجل، بدا من نظراته وثيابه أنه محتاج، وسأله اعطاءه قطعة جديدة من النقود تكون صدقة، لأنه كان في تلك الآونة نقود جديدة في انكلترا، في أيام الملك هنري الأول، لكنها كانت نادرة بسبب حدائتها، ورد عليه وولفرك أنه لا يعرف إن كان معه أية نقود جديدة أم لا، وبناء عليه قال له الرجل: «انظر في حافظة نقودك، وسوف تجد هناك قطعتان ونصف القطعة»، ودهش وولفرك تجاه ذلك، وفعل ما أمر به، فوجد المال فقدمه بتقوى صدقة له، وتسلم الرجل المال وقال: «علّ الذي فعلت هذا من أجله يعوض عليك تعويضاً مناسباً، وإنني أحدثك

باسمه، بأنك سوف تنتقل بعد وقت قصير من هذا المكان إلى مكان آخر، ومن هناك إلى مكان ثالث، حيث ستجد أخيراً الاستقرار، فهناك سوف تشاير على عبادة الرب، الذي سوف يستدعيك في الأخير للالتحاق بجماعة القديسين».

حول تحول القديس وولفرك وحياته المتقشفة

وبعد وقت قصير ارتبط وولفرك بوليم صاحب قرينته الأصبيلة، وتناول الطعام في كل يوم على مائدته، وهناك أيضاً، أعد نفسه لحياة التقشف بالتخلي عن استخدام اللحوم، وصار رجل الرب الآن متشوقاً إلى حياة العزلة، وقد أرسل من قبل مولاه، أي الفارس المتقدم ذكره، إلى هيزلبيرغ، وهي قرية تبعد حوالي الثلاثين ميلاً إلى الشرق من اكسيتر Exeter ومن المعتقد أنه ألهم بفعل ذلك باقتراح من قبل الروح القدس، وهنا عزل نفسه في قلالية قرب الكنيسة، وكرس نفسه على عبادة المسيح، الذي حصل على رضاه بوساطة كثير من الجهد والتعب في كل من الجسد والروح، ذلك أنه أجهد جسده وأفناها بالتقشف والسهر، إلى حد، أن جلده، بات بعد وقت قصير، بالكاد متعلقاً بعظامه، وقدم ذاته إلى عين المشاهد، مظهرًا، ليس عائداً لجسد بل لكائن روحاني، وأقنع نفسه بلباس بسيط كان تحته قميص من المسوح، ولكن بعدما تلف هذا خلال عدة أيام، بدأ يفكر باستبداله بسابغة من الحديد، وعندما سمع مولاه، أي الفارس المتقدم ذكره، بهذا، بعث إلى رجل الرب، بسابغة من الحديد، مكرسة لتكون أداة للحرب في خدمة المصالح السماوية، واعتاد في الليل على أن يغطس وهو عريان في حمام ماء بارد جداً، وهناك كان يقدم إلى الرب مزامير الملك داوود، وبهذه الطريقة غالباً ماأمات الجسد ببرد الماء، ذلك أن جسده كان ضعيفاً، وحدث هذا بالغالب بقوة شديدة، وكان متواضعاً ولطيفاً في كلامه إلى جميع الناس، وكانت خطبه تردد مثل نشيد سماوي بالنسبة إلى الذين

سمعوه، مع أنه تحدث دوماً إلى الناس ونافذته مغلقة.

معجزة مدهشة حول قطع سابغة

وخرق في الوقت نفسه رجل الرب وولفرك، الذي الرب وحده قد عرفه حقيقة، وانبثق مثل الفجر المبكر فوق المعرفة لبني البشر بجهده في سبيل انقاذهم وتخليصهم، لأنه عندما أعاقته السابغة التي كان مرتدياً لها، وأصابت ركبتيه، وحالت دون حنيهما بشكل مستمر، دعا إليه الفارس الذي كان معتاداً على أسراره، وتحدث إليه بشأن طول سابغته فقال له الفارس: «إنني سوف أرسلها إلى لندن وأقطعها وفق الطريقة التي تختارها» فأجابته رجل الرب: «إن هذا سوف يسبب تأخيراً كبيراً، ويمكن أن يظن أن ذلك برهان على المباهاة، خذ هذا المقص، وقص باسم الرب وقم بالعمل بيدك»، وما أن فرغ من كلامه هذا حتى ناول الفارس مقصاً، كان قد جلبه من بيت الفارس، ولدى رؤيته للمقص تردد وظن أن الناسك كان مجنوناً، فتابع الناسك كلامه قائلاً: «كن شجاعاً ولا تردد، إنني سأذهب وأصلي إلى الرب حول هذا، وفي الوقت نفسه أفلح أنت واشرع بالعمل وأنت واثق» وكان المقاتلان الآن كلاهما منشغلين، أولهما في الصلاة، والآخر بالقطع، وتقدم العمل تحت أيديهما، لأن الفارس قد شعر وكأنه يقطع قطعة من القماش، وليس حديداً، وقد عمل المقص بشكل فعال ومفيد، لكن عندما قطع رجل الرب صلاته، لم يعد الفارس، الذي لم يكن قد فرغ من عمله، قادراً على متابعة القطع، ووقف وولفرك وسأله كيف سارت الأمور معه، فأجابه الفارس قائلاً، بشكل جيد جداً حتى الآن، لكن الآن عندما قدمت توقف المقص عن القطع»، فقال الناسك له: «لاتخف، تابع القص كما بدأت، بالمقص نفسه»، واستأنف الفارس عمله وهو مطمئن، وأنهى عمله وهو مطمئن بالسهولة نفسها، كما كان الأمر من قبل، وصقل المقصوص من دون أية متاعب، وقام رجل الرب منذ ذلك الحين فصاعداً، بقطع حلقات من

السابغة من دون مقص، بل بأصابعه الضعيفة، لكن ليس بإيهان أقل، ووزع تلك الحلقات من أجل شفاء الأمراض، وأعطائها لكل من سأله إياها صدقة، ولدى رؤية الفارس لقدرتها أصيب بدهشة أصمته، وسقط على قدمي رجل الرب، الذي رفعه باضطراب، وطلب منه أن لا يخبر بذلك أحداً مادام هو نفسه حياً، ولكن شهرة ذلك لم يكن من الممكن إخفاءها، مادام عدداً من رجال الدين يتفاخرون بأنهم يمتلكون حلقات من تلك السابغة، وانتشرت شهرة رجل الرب في جميع أجزاء المملكة.

كيف قدم رجل الولاء للشيطان وشفي من قبل رجل الرب

كان يوجد في الأجزاء الشمالية من انكلترا رجل شقي، لم يكن قادراً على تحمل الفقر، فأذعن، وقدم ولاء للشيطان، وبعدهما شعر لبعض الوقت بظلم سيده الجديد، أدرك هذا الرجل الشقي جريمته، وشرع يتوب منها، ونظر من حوله إلى رجل يحميه يمكن أن يعهد بنفسه إليه، فيتحرر من موت الروح، فقرر أخيراً القيام بزيارة القديس وولفرك، الذي قيل بأن في يده يقع الخلاص، وعندما عبر عن قلقه حول ذلك وعن نيته إلى واحد من أصدقائه، وقف الشيطان إلى جانبه بشكله المعتاد والمعروف بشكل جيد، واتهمه بخرق الثقة والعهد، وهدده بمعاقبته بشكل وحشي، وألزم الرجل نفسه بالصمت، لأنه رأى بشكل واضح أن العدو لم يعرف ما كان يفكر به سرياً بقرارة نفسه، حتى قام أولاً بتطوير نواياه وإخراجهم على شكل كلمات وإشارات، ولذلك أخفى لبعض الوقت نواياه بالتوبة، وانطلق أخيراً للقيام برحلته المقترحة لزيارة وولفرك رجل الرب، وبعدهما أكمل الجزء الأعظم من الطريق، وصل إلى مخاضة النهر خارج قرية هيزليبرغ لأن الرب أنجح رحلته، ودخل الآن إلى المخاضة، وكان متأكداً من عون القديس وولفرك، ووقتها ظهر الشيطان، وهو ملتهب بالغضب، وألقى بيديه بكل عنف عليه، وقال له: «مالذي كنت أنت قاصد أن تفعله أيها الرجل الخائن، أولست

تحاول خرق تحالفنا، لكن عبثاً، لأنك الآن سوف تعاني من أجل خيانتك، أولم تقم أنت من قبل بالتخلي عن عبادة الرب وخدمته، وتسعى الآن للتخلي عن خدمتي أيضاً، إنك سوف تغرق الآن بشكل تعيس»، ثم أمسكه الشيطان، وثبته بشدة حتى أنه لم يعد قادراً على التقدم نحو الأمام، ولا الانحراف بنفسه إلى جانب أو آخر، وعندما كان هذا يحدث في النهر، جرى إخبار رجل الرب وولفرك بذلك، بوساطة رؤيا ربانية، فدعا إليه كاهنه الذي اسمه بريشريك، وقال له: «امض مسرعاً، وخذ الصليب، وبعض الماء المقدس، وقابل الرجل المحبوس من قبل الشيطان في المخاضة خلف القرية، ورش عليه بعض الماء المقدس، وأحضره إليّ، ومضى بريشريك مسرعاً، وأثناء توجهه رأى الرجل ووجدته على ظهر حصان في النهر، غير قادر على التحرك من المكان الذي كان فيه، وقام بريشريك على الفور برش الماء المقدس عليه، باسم الأب، والابن، والروح القدس، وعلى الفور انهزم الشيطان، وتحرر الأسير من عدوه، واقتيد إلى حضرة رجل الرب، الذي كان في ذلك الوقت، يصلي بقلبك إلى الرب لصالحه، وخلفه جاء الشيطان الذي طالب برجله، وأمسك به دون أن يعبأ بصراخه إلى رجل الرب طلباً للمساعدة، وأمسك القديس بالرجل من يده اليمنى، والشيطان من يده اليسرى، وقام رجل الرب برش الماء المقدس على وجه العدو، الذي هرب على الفور وهو مضطرب، ثم اقتاد القديس الرجل الذي أنقذه من فكي عدوه، إلى قلايته، واحتفظ به هناك حتى اعترف بذنوبه، وأخرج منه السم وقذف به أمام قدمي القديس، وهو السم الذي كان الشيطان قد أفسده به، ثم جرت مباركته على مشهد من ربنا، وقدمه إليه بالجد من قبل رجل الرب، وعندما سئل عما إذا كان يؤمن بقلبه كله، أجاب: «أنا أو من يامولاي، وأنا في حالتي التعيسة والمذنب، بأنني رأيت في يديك جسد، ودم ربنا يسوع بالجد» فقال القديس: «الشكر للرب، دعنا الآن نصلي معاً، حتى يُعتقد أنك جدير بأن تراه بشكله

الصحيح والحقيقي»، ثم أقام قداساً، به ثبت إيمانه، وبعد ذلك سمح له بالذهاب بسلام، وقد مات القديس وولفرك في العشرين من شهر شباط، وقد دفن في خلوته في هيزلبيرغ، حيث جرى تنفيذ العديد من المعجزات تشریفاً للرب وللقديسين، وماتزال تمارس حتى الوقت الحالي.

حول نسب الملك هنري

عام ١١٥٥م، فيه في اليوم الأخير من شهر شباط، أنجبت الملكة إيلانور إلى الملك هنري ولداً صحيحاً وقانونياً، أطلق عليه اسم هنري، هذا وكان الملك هنري ابن ماتيلدا، التي كانت من قبل امبراطورة وفيما بعد كونتسه أنجو، وكانت أمها هي ماتيلدا، ملكة انكلترا، وزوجة هنري الأول، وابنة القديسة مرغريت ملكة اسكوتلندا، وكانت مرغريت هذه ابنة ادوارد من أغاثة Agatha ، أخت هنري الامبراطور الروماني، وكان ادوارد ابن اديموند الطرف الحديدي Ironside، ابن إيثلرد Ethelred ، ابن ادغار Eadgar الهادي، ابن إدموند، ابن ادوارد الأكبر، ابن الملك النبيل ألفرد، ابن ايثلوولف Ethelwulf، ابن ايغبرت Egbert ، ابن ألكموند Alcmund ، ابن إيوفا Eoffa ، ابن إيوبا Eoppa ، ابن انغلز Ingels ، أخو آين Ine الملك اللامع، ابن كندر Kenred ، ابن سيولوولد Ceolwald، ابن كوثة Cutha، ابن سيرتك Certic ، ابن ايليسا Elessa ، ابن ايغلا Eglá ، ابن ويغ Wig ، ابن وودن Woden ، ابن فريتوولد Fretewald ، ابن فريولتر Freolater ، ابن فريثوولف Frethewulf ، ابن فرنجولدف Fringolduff ، ابن غيثة Getha ، ابن تاتوا Tatwa، ابن بيو Beau ، ابن سلدوا Seldwa ، ابن هيرمود Hermod، ابن إيترمود Itermod ، ابن هاثرا Hathra ، ابن والا Wala ، ابن بدوي Bedwi ، ابن سام، ابن نوح.

وقام في العام نفسه الملك هنري بحرمان وليم بيفيريل Peverel، من ميراثه لأنه أمر بوضع السم لرالف إيرل شستر، وقد قيل بأنه كان شريكاً في كثير من الجرائم من هذا النوع، وجعل الملك هنري - في الوقت نفسه - نبلاءه، يؤدون قسم الولاء إلى ابنه وليم، وهنري من أجل تاج انكلترا، ومات أيضاً روبرت أسقف إكستير، وقد خلفه روبرت عميد سالسبري، وفي حوالي الوقت نفسه، أرسل هنري أسقف ونشستر كنوزه بعيداً مقدماً، لتكون في حفظ راعي دير كلوني، ثم مالبت هو نفسه، أن غادر انكلترا بعد ذلك مباشرة، من دون الحصول على إذن الملك، ولهذا الاعتداء أمر الملك بهدم قلاعه الثلاث وتسويتها بالأرض، وفي حوالي الوقت نفسه، قام هيو ج دي مورتيمير - Mortimer، وكان رجلاً أرعناً، بتحصين قلاعه ضد الملك، وهي: أبراج غلوستر، وويغموور، وبردجنورث، لكن الملك حمل عليه فجأة، فاستولى عليهم ودمرهم، ثم أقيم سلام فيما بينهما.

وفي ذلك الحين أيضاً، تزوج لويس ملك فرنسا، من ابنة ألفونسو، ملك اسبانيا، الذي كانت عاصمته طليطلة، وهم يدعونه باسم امبراطور اسبانيا، لأن له السيادة على الملكين الصغار في أرغون وغاليشيا، [وجرى تكريس فريديريك امبراطوراً من قبل البابا أدريان، وأعيدت يد القديس جيمس إلى دير ردنغ] وفي الوقت نفسه جرى تعيين توماس رئيس شامسة كانتربري، وعميد بيفري، والقانوني لعدد من الكنائس الانكليزية، مستشاراً للملك.

كيف أعطى البابا أدريان جزيرة ايرلندا إلى الملك هنري

وفي هذه الآونة أرسل هنري ملك انكلترا سفارة مهيبة لتسعى لنيل إذن البابا أدريان، حتى يتمكن من غزو ايرلندا واخضاعها، وجلب سكانها البهيميين إلى طريق الصواب، بإزالة بذور الشرور من بينهم، وبسرور نال هذا المطلب موافقة البابا أدريان، الذي أرسل إلى الملك

الرسالة التالية:

« من أدريان، أسقف وخادم عبيد الرب، إلى ابنه العزيز في المسيح، الملك اللامع لانكلترا، تمنيات الصحة، ومباركته الرسولية: بثناء وتقدم عزمت جلالتك على مضاعفة احترامك على الأرض، لكي تنال لنفسك جائزة السعادة الأبدية في الجنة، وذلك في سعيك، كأمر كاثوليكي، لمدّ حدود الكنيسة، ولتعليم الشعوب الهمجية عقائد الايمان المسيحي، ولإزالة بذور الشر من حقل الرب، ولنجاح هذا المشروع وفائدته الفضلى، سألت تأييد الكرسي الرسولي، ولقد أبدت في سبيل تنفيذ هذه النية اخلاصاً عظيماً، وستنال نصيحة أعظم من عليين، تجعلنا أكثر ثقة بنجاحك، ولقد بينت لنا يا ولدنا العزيز في المسيح، نيتك في غزو ايرلندا، واخضاع سكانها، وجعلهم يعيشون طائعين تحت شريعة المسيح، ومن ثم إزالة الشرور من بينهم، مع النية أيضاً بأن تدفع إلى القديس بطرس مبلغاً سنوياً، وهو بنس واحد عن كل بيت، وبأن تحفظ للكنايس في تلك البلاد، حقوقها كاملة ودونها نقصان، ونحن نوافق الآن بشكل قانوني على نيتك هذه المحمودة، ونستجيب بسرور لطلبك، ونحن أيضاً مسرورين لأنك تعمل في سبيل توسيع حدود الكنيسة، لضبط الشرور، وتقويم الأخلاق، ولبذر الفضيلة، وأكثر لمدّ وتوسعة الديانة المسيحية، فأنت في سبيل ذلك سوف تغزو تلك الجزيرة، وتفعل كل شيء يبدو مفيداً في رفع شأن الرب، ويفعل خيراً لذلك الشعب، الذي سوف يستقبلك ويحترمك بمثابة سيد له، شريطة بقاء حقوق الكنيسة كاملة ودفع البنس الواحد سنوياً من كل بيت، وأن يحافظ عليه قانونياً للقديس بطرس، لأن جميع الجزر التي أشرقت عليها شمس العدالة، والتي تلقت الخلاص بوساطة الايمان المسيحي، هي بلا شك عائدة إلى القديس بطرس، وإلى الكرسي الروماني المقدس، حسبما اعترف نبلاؤك أيضاً، وبناء عليه إذا كنت ترغب في انجاز ما نويته في عقلك، ادرس

القيام بتعليم ذلك الشعب الأخلاق الصالحة، وابدل جهدك من خلالك ومن خلال الذين سوف توكل إليهم مسألة إرشادهم أن يكونوا من حيث الحياة، واللغة، والإيمان أهلاً للقيام بهذا الواجب، حتى يزينوا الكنيسة في تلك البلاد، وأن يمكن غرس المسيحية هناك ومن ثم نموها، وكذلك عمل كل شيء يميل إلى تشريف الرب، وتخليص النفوس، وأن يسود النظام هناك، حتى تتسلم من الرب تاج السعادة الأبدية، وأن تؤمن لنفسك مادمت على الأرض، مجدداً لايزول».

حول اكتشاف معطف مخلصنا الذي كان بلاحاشية

عام ١١٥٦م، فيه تم العثور في أرجنتويل Argentoil، وهو دير في منطقة باريس، على معطف مخلصنا، وكان ذلك بوساطة وحي رباني، وكان هذا المعطف من دون حاشية ولونه قاتم، وقد ورد في الكتابات التي تم العثور عليها، في الوقت نفسه، بأنه صنع من قبل الأم المجيدة، عندما كان مايزال طفلاً.

وعبر في العام نفسه الملك هنري إلى نورماندي، حيث استولى بعد حصار طويل على قلعتي ميربو Mirabeau، وشينون Chinon، وكانت قلعة لودون Loudon قد استسلمت له من قبل، منذ مدة قصيرة، وبعدها قام أخوه غيوفري بطرد هول Hael، كونت بريتاني، واستولى على نانتي Nantes بموافقة سكانها، عمل سلاماً مع الملك، على شرط أن يتسلم سنوياً ألف باوند من النقود الانكليزية، وألفين من نقود أنجو، فبموجب هذه الاتفاقية صنع سلام بينهما.

وفي العام نفسه، دمر وليم، ملك صقلية، تدميراً كلياً مدينة باروم Barum، وهزم الاغريق واسترد المدن والقلع، التي كانت قد أخذت منه، وصنع سلاماً مع البابا أدريان، وسمح له بسيامة أساقفة مملكته، وفي تلك الآونة ولدت اليانور، ملكة انكلترا، للملك ابنة

أسميت ماتيلدا،] ومات في العام نفسه وليم أكبر أولاد هنري، ودفن في ردنغ].

كيف عمل ملكا انكلترا وسكوتلندا سلاما بينهما

عام ١١٥٧م، فيه عبر الملك هنري إلى انكلترا، وإليه أعاد مالكوم ملك سكوتلندا مدينة كارلايل، وقلعة بامبورغ، ونيوكاسل على التاين، وجميع منطقة لوثيان، ومن جهة أخرى أعاد هنري إليه إيرلية هنتنغدون، وفي الطريقة نفسها، سلم وليم الابن غير الشرعي للملك ستيفن، وإيرل مورتون، ووورني Warene ، إلى الملك قلعتي بيغني Pe-vensey، ونوروك Norwick ، إلى جانب جميع الحصون في انكلترا ونورماندي، التي كان محتفظا بها كمنحة من أبيه، وفي المقابل أعطاه الملك هنري كل الذي كان بيد ستيفن في اليوم الذي توفي فيه هنري الأول، وتخلّى في الوقت نفسه أيضاً هيوج بيغود عن قلاعه إلى الملك، وأعدّ في السنة نفسها الملك هنري قوة عسكرية كبيرة لمهاجمة ويلز بحراً وبراً، وفي هذه الحملة طلب من كل فارسين تأمين نفقات تسليح فارس ثالث، وعندما كان كل شيء جاهزاً، دخل الملك إلى ويلز، فقطع الأشجار والغابات، وفتح طريقاً لجيشه، وألقى الحصار على قلعة ريدلار Rhydlar ، واسترد جميع الحصون التي انتزعت من أسلافه، وأعاد بناء قلعة بيزنغويرك Basingwerk ، وبعدما أخضع الويلزيين عاد منتصراً إلى انكلترا، وفي العام نفسه ولدت له الملكة اليانور ولدأ أسماه رتشارد، وأوصل روبرت دو مونت سينت مايكل تاريخه إلى هذا الوقت.

كيف وضع الملك هنري تاجه جانباً

عام ١١٥٨م، فيه جرى تتويج الملك هنري في يوم عيد الميلاد، في ووركستر، وبعد انقضاء حفل التقديس، وضع تاجه على المذبح، ولم

يلبسه بعد ذلك، وفي العام نفسه ولدت له الملكة اليانور ولداً منح اسم غيوفري، كما جرى ضرب نقود جديدة في انكلترا أيضاً، وذهب توماس، مستشار الملك في سفارة، مع كثير من الأبهة، لاستقبال مرغريت، ابنة ملك فرنسا، لتكون زوجة للأمير هنري، ابن ملك انكلترا، وقام الملك هنري، عقب وفاة أخيه غيوفري بعبور القنال، واستولى على مدينة ناتي، وفضلاً عن ذلك، تولى زيارة ملك الفرنسيين في باريس، وجاء ذلك بناء على دعوة، وأقام هناك في القصر وأقام لويس مع ملكته في دير الرهبان النظاميين للقديسة مريم العذراء.

كيف حاصر الملك هنري طولوز

عام ١١٥٩م، فيه زحف الملك هنري ضد طولوز، واستولى على عدة قلاع في أحوازها، وكان آنذاك الملك الفرنسي في تلك المدينة، ولم يرغب هنري بمهاجمة المدينة نفسها، صدوراً عن احترامه للملك الفرنسي، الذي كانت أخته كونستانس قد تزوجت من كونت طولوز، وولدت له ولداً، وكانت هذه القضية هي سبب العداوة بين الملكين، كما ستظهر النتائج، ومات الآن البابا أدريان، وقام شقاق بين الاسكندر وبين أوكتافيان، وكان الأخير مؤيداً من الامبراطور ورجال دينه، أما الأول فكان مؤيداً من قبل ملكي فرنسا وانكلترا، وكتب الامبراطور إلى الملكين معاً معاً، بأن عليها الاعتراف بأوكتافيان، لكنهما رفضا الاستجابة وبذلك حصل الاسكندر على البابوية.

كيف تزوج هنري الملك الأصغر لانكلترا

عام ١١٦٠م، فيه عاد الملك هنري من طولوز، وزوج ابنة هنري من مرغريت ابنة ملك فرنسا، التي كانت موجودة تحت عهده، وتسلم ملكية قلعة غيسور، التي رغب بتملكها منذ زمن طويل، وانزعج ملك فرنسا تجاه ذلك، وادعى بأن ذلك قد عمل قبل أوانه، ولهذا السبب، قام

مع مساعدة ثيوبولد كونت فلاندرز، فحصد شومونت Chaumont على الرغم من إرادة ملك انكلترا، لكن هنري زحف إلى هناك مسرعاً، وتراجع الملك الفرنسي وكونت فلاندرز، واستسلمت القلعة بعد عدة أيام من الحصار إلى هنري، وذلك مع الخمسة والخمسين فارساً الذين كانوا شحنة فيها، وبناء عليه جرى الاحتفال بالزواج فيما بين الأمير هنري، الذي كان في السابعة من عمره، وابنة الملك الفرنسي التي كان عمرها ثلاثة أعوام فقط، وكان الاحتفال في نيوبورغ Newbourg في اليوم الثاني من تشرين الثاني، بمباركة هنري أوف بيزا، ووليم أوف بافيا، وكانا كاردينالين وممثلين للكرسي الرسولي، ومات في هذا العام ثيوبولد رئيس أساقفة كانتبري.

حول سيامة بارثوليميو أكستير والمعجزة التي رآها

عام ١١٦١م، فيه جرت سيامة بارثوليميو Bartholomew، الذي كان رجلاً متديناً، وله معارف جيدة باللاهوت، لكرسي أكستير Exet-er من قبل أسقف روكستر، وفيما يتعلق بهذا الأسقف المبجل، يحكى عنه أثر معروف بشكل جيد، بأنه عندما كان يزور أسقفيته، ومركزاً جهده حول إنقاذ الأنفس، استراح في إحدى الليالي مع رجال دينه، وكانت الاستراحة في إحدى قرى المنطقة، وقد نام فوق قطعة أرض مظلة على كنيسة وأرض مقبرتها، وفي منتصف الليل، عندما أفاق لتأدية الصلاة الليلية، وجد المصباح الذي يشتعل بالعادة طوال الليل في غرفته قد انطفأ، ولذلك دعا حاجبه وأخبره بوجود احضار اضاءة بالسرعة الممكنة، وفي أثناء انتظاره للإضاءة سمع صرخات عدد من الأطفال كانوا يقومون بمسيرة من ساحة الكنيسة، وكانوا يتفوهون بالكلمات التالية بشكل واضح: «الويل لنا، الويل لنا، من الذي سيصلي من أجلنا؟ ومن الذي سيقدم صدقات إلينا، أو سيقدم قداسات من أجلنا؟»، واندحس الأسقف تجاه هذه الكلمات، وتساءل إلى أبعد الحدود

عن المعنى الذي تقصده، وذهب في الوقت نفسه الحاجب لإحضار الاضاءة، لكنه لم يجد اضاءة لافي القاعة ولا في المطبخ، فذهب وهو قلق إلى القرية، فركض إلى هناك مسرعاً، فوجد هناك كاهن الأسقفية مع عدد من الرجال والنساء، متحلقين حول جثة رجل، يبكون ويتنفون شعورهم، ولم يهتم كثيراً حول هذه المسألة، ولم ينشغل بها، بل وضع الضوء في مصباحه، ورجع حيث أخبر الأسقف حول مارآه، وفور انتهاء الليل، وعندما صار الوقت ضياء، استدعى الأسقف الكاهن مع بعض سكان القرية، وسألهم عن الميت وأي نوع من الرجال كان هو، واتفق الجميع على أنه كان رجلاً مستقيماً، كان يخاف الرب، وكان أباً لليتامى ومواسياً للمحتاجين، ذلك أنه كان قد أعطى كل ممتلكاته للفقراء، وهو ما يزال حياً، وكذلك إلى الغرباء، فضلاً عن هذا احتفظ في بيته براهب، حيث أبقاه على حسابه ليصلي وليعمل قداساً يومياً من أجل أرواح الموتى، وما أن سمع الأسقف بهذا، حتى أدرك على الفور، أن النحيب الذي سمعه من ساحة الكنيسة، صدر عن أرواح الذين كانوا مدفونين في ساحة الكنيسة، وذلك أثناء حزنهم على الرجل الذي كان يفيدهم بصدقاته وقداساته، ثم بعث الأسقف وراء الكاهن الذي كان يتولى تلاوة تلك القداسات من أجل الموت، وأعطاه حصة في الكنيسة، وتمنى عليه تلاوة قداس وإقامة الصلوات من أجل الموتى في كل يوم مادام حياً.

كيف عقد ملكا فرنسا وانكلترا معاهدة بين أحدهما والآخر

عام ١١٦٢م، فيه كان قد حشد الآن لويس ملك فرنسا، وهنري ملك انكلترا جيشاً كبيراً على كلا الجانبين، وكان من المتوقع نشوب معركة فيما بينهما في فريتفال Freitval ، عندما عقد سلم كان غير متوقعا صنعه بينهما، وولدت في العام نفسه إليانور ملكة انكلترا لزوجها ابنة في روان Rouen ، وأعطت المولودة اسم أمها، وسار رتشارد

أسقف لندن على طريق جميع الأجساد، وأمر الملك بأداء اليمين الولاء لابنه هنري، وكان الأول في أداء اليمين توماس، مستشار الملك، الذي أقسم أنه سيكون مخلصاً للأمير الشاب، باستثناء حق ابيه الملك فقط، فهو سيبقى بخدمته طوال حياته وطوال رغبته في حكم المملكة.

كيف جرى اختيار توماس مستشار الملك رئيساً للأساقفة

واجتمع في العام نفسه جميع رجال الدين والناس العائدين لمنطقة كانتربري في وستمنستر، حيث جرى بشكل مهيب انتخاب توماس مستشار الملك، بدون معارضة، لأن يكون رئيس أساقفة، وقد حدث هذا في أحد عيد العنصرة، وتمت سيامة المستشار ليكون كاهناً، من قبل وولتر أسقف روكستر، في كنيسة كانتربري، وفي الأحد التالي جرى تكريسه من قبل هنري أسقف ونكستر وجرى اجلاسه على العرش بشكل مهيب، وعلى الفور تم ارسال رسل إلى روما، وقد قابلوا البابا على هذا الجانب من الألب، وهو داخل إلى فرنسا، وقد عادوا إلى انكلترا، وهم يحملون معهم الطيلسان، الذي وضع على المذبح في كنيسة كانتربري، وبعدهما أدى توماس الأيمان المعهودة، تسلم الطيلسان من على المذبح، ووضع على نفسه بشكل مهيب أردية كاهن أعلى، وكان التغيير باللباس عملاً تمهيدياً لتغيير في القلب أيضاً، لأنه تخلى الآن عن الاهتمامات العلمانية، وركز اهتمامه فقط على الاهتمامات الروحية للكنيسة، ولكسب الأرواح.

وأرسل رسالاً إلى الملك في نورماندي، متخلياً عن منصب المستشار، ومعلنا استقالته عن حمل الختم الكبير، وأثر هذا العمل تأثيراً عميقاً على فكر الملك، الذي عدّ نفسه وحده المسؤول عن استقالته، وكانت هذه هي المرة الأولى التي امتلأت فيها نفسه وشحنت نحو توماس، رئيس أساقفة كانتربري، وكان توماس واحداً من سكان لندن، وقد اعتاد منذ صغره على التمتع بالدعاء إلى العذراء المباركة، وبعده المسيح، ركز جميع

آماله عليها، وعندما انتهى من تعليمه، دخل في خدمة ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري، وفي أثناء عمله، كسب طريقه لصنع صداقة حميمة وإلفة معه، هذا وليس من السهل الحديث عن كيف أنه في خدماته وأعماله في سبيل قضية كنيسة الرب، قد زار مراراً عتبات الرسولين حول مسائل كانت تتعلق بالأعمال، ولا كيف أنه نجح في القيام بمهامه، ذلك أن عقله كله كان منصرفاً كلياً لفحص القضايا وتقريرها، ولتوجيه الناس، وجرت ترقيته أولاً من قبل رئيس الأساقفة لأن يكون رئيس شمامسة كانتربري، وصار بعد ذلك بوقت قصير مستشار الملك، حيث تمكن في إطار عمله بحكمة وعقلانية من إيقاف أعمال سلب الأوغاد الذين كانوا قد تآمروا لسلب أملاك كل من المنطقة والكنيسة، ولعل في هذا كفاية للوقت الحالي فيما يتعلق بالحياة المتقدمة لرئيس الأساقفة توماس، وذلك حتى يكون القارئ قادر بشكل أحسن على فهم الذي سنقوله عنه فيما يلي.

حول التسوية النهائية للخلافات بين كنيسة سينت ألبان ولنكولن

تمت في هذا العام التسوية نهائياً وسلمياً للخلاف بين كنيسة لنكولن، ودير القديس ألبان، وتولى عرض قضية كنيسة لنكولن والحفاظ عليها من قبل اسقفها روبرت أوف شيسني Chaisney ، أما قضية الدير فتولاها راعي الدير روبرت دي غورهام Gorham ، وكان ذلك بحضور الملك هنري الثاني، وتوماس رئيس أساقفة كانتربري، وروجر رئيس أساقفة يورك، وذلك إلى جانب الأساقفة التالية أسماؤهم: هنري أسقف ونكستر، ووليم أسقف نوروك، وجوسلين أسقف سالسبري، وبارثوليميو أسقف اكستير، وهيلاري أسقف سشتر، وهيوج أسقف درم، ورتشارد أسقف كوفنتري، وغيلبرت أسقف هيرفورد، وغودفري أسقف القديس آساف Asaph، وروبرت إيرل أوف ليستر، وكان أيضاً

مسؤول العدالة في انكلترا حاضراً، مع الإيرلات، ورؤساء الدير، ورؤساء الشمامسة، مع حشد عظيم من الناس، وكان ذلك في وستمنستر يوم الخميس قبل الفصح، ووقتها جرى توقيع الصك التالي:

« من روبرت، الذي هو بنعمة من الرب، أسقف لنكولن إلى جميع أبناء أمتنا الكنيسة المقدسة، تمنيات الصحة: ليكن معلوماً من قبلكم جميعاً، أن الخلاف الذي أنا أثرته ضد روبرت راعي دير القديس ألبان ورهبانه، فيما يتعلق بالدير نفسه، وبالخمس عشرة كنيسة ذوات الامتياز التي يمتلكونها على أراضيهم، والتي أنا أدعي، كأسقف لهم، وجوب أن يكونوا رعية وطائعين لي شخصياً، قد انتهى الآن وإلى الأبد، فلقد تخلت مع موافقة من مجلس الكهنة عن هذه الإدعاءات والمطالبات بحضور الشهود المتقدم ذكرهم، علاوة على ذلك، لقد تسلمت أيضاً بموافقة من مجلس كهنتي، من راعي الدير المتقدم ذكره، مع رهبانه، قرية أوف تنغهيرست Tinghurst مع كنيستها، ومع جميع حقوق الامتياز لعشرة عقارات من الأرض، ليجري تملكها من الآن فصاعداً وإلى الأبد من قبل كنيسة لنكولن، وذلك مقابل التخلي عن الادعاءات المتقدم ذكرها، علاوة على ذلك إن الحقوق التي أدعيها على الدير المتقدم الذكر، ممثلاً بشخص الراعي روبرت وخلفائه، وعلى الخمس عشرة كنيسة المتقدم ذكرها، بمثابة كونها عائدة إلى كنيستي، ولشخصي وخلفائي، قد تخلت عنها ووضعتها في يدي مولانا الملك نيابة عني شخصياً وعن خلفائي إلى الأبد، وبناء عليه، لتكن — من الآن فصاعداً — الحرية ممنوحة إلى دير القديس ألبان، والخمس عشرة كنيسة المتقدم ذكرها، لتلقي الميرون، والزيت، والمباركة، والتكريسات الأخرى العائدة للكنيسة، من أي أسقف يرضون، من دون أية معارضة منا أو من كنيستنا، وعلاوة على ذلك فإن تلك الكنيسة سوف تبقى حرة في يدي الملك، بمثابة ملك له، لكن الكنائس الأخرى العائدة للدير نفسه

في منطقة أسقفية لنكولن، فسوف تقدم الطاعة والخضوع الرعوي لأسقف لنكولن، مثل بقية الكنائس، ولكي لا تعود هذه المسألة إلى الخلاف ثانية، قمت بتأكيد هذا الاتفاق الحالي في الكتابة الحالية، وبوضع ختمي هنا عليها، وأختام الكهنة».

وجرى تأكيد هذه التسوية السلمية من قبل الملك، ومن قبل رئيس الأساقفة توماس، والبابا الاسكندر، الذي حذا حذوهما فوافق عليها بموجب صلاحيات الكرسي المقدس، مع الموافقة الكتابية لجميع الكرادلة.

وفي العام نفسه دفع بلدوين، ملك القدس دين الطبيعة، وقد خلفه أخوه عموري.

السبب الثاني لمعاداة توماس رئيس أساقفة كانتربري

عام ١١٦٣م، فيه عاد الملك هنري إلى انكلترا، بعد أنهى عمله فيما وراء البحر، وجاء توماس رئيس أساقفة كانتربري للقاءه، وقد استقبله بالقبلة المعتادة، إنما من دون الحظوة الكاملة كما كان واضحاً لجميع الذين كانوا حاضرين، وذلك بإشاحة الملك وجهه عن وجهه، وجرى في العام نفسه، بمبادرة من الملك ومع موافقة البابا، نقل غيلبرت أسقف هيرفورد، إلى كرسي لندن، وجلس على عرشه بشكل مهيب في تلك الكنيسة في ٢٨ - نيسان، وكذلك غلب روبرت دي موننفورت هنري أوف اسكس، في مبارزة واحدة، وذلك بتهمة الخيانة للملك، أما هنري الذي هزم فقد جعل نفسه عرضة للتجريد والمصادرة، لكن سمح له فيما بعد بتدخل من الملك بلبس الرداء الرهباني في دير ردنغ، وفي هذا العام أيضاً عمل رئيس الأساقفة توماس كاهنه غيوفري رايدل Ridel رئيس شمامسة لكانتربري، وجاء ذلك بناء على طلب ملح وسريع من الملك، ومع ذلك لاحظ أن حظوة الملك لم تعد إليه كاملة، وكان الازعاج

الأول له عندما استقال من حمل ختم الملك، وظهر الانزعاج الثاني بالبرودة التي أبداهها الملك نحوه عندما استقبله بالقبلة المعتادة، وذلك من دون الحظوة الكاملة، ووضح الآن ذلك للمرة الثالثة عندما منح رئيس الأساقفة رئاسة الشمامسة، حسب طلب الملك، فقد أدرك في ذلك الوقت أن الحظوة الملكية لم تعد إليه كاملة.

وسعى في العام نفسه كليرنبولد Clarenbald راعي الدير المنتخب لدير القديس أوغسطين، للحصول على المباركة المعتادة من رئيس الأساقفة، إنما في كنيسته الديرية، ومن دون مسيرة، وكان يستهدف بهذه الوسائل أن يسحب نفسه من الخضوع لرئيس الأساقفة، واستجاب الملك لرغبات راعي الدير المنتخب هذه، حاثاً على ضرورة المحافظة على العادات القديمة للملكة، وبذلك عاكس رئيس الأساقفة ووقف ضده وكانت هذه المناسبة التالية التي وقف فيها موقفاً عدائياً ضده، وجرى في هذا العام بحث عام وتقصي في أوضاع الممتلكات الإقطاعية في جميع أرجاء انكلترا، وقد تبين من خلال ذلك أنه في مقاطعة كنت، كان المتوجب على دي روز Roos، في تكليفه في بعض الخدمات، الاعتراف بالملك كرئيس له وليس برئيس الأساقفة، وصارت هذه العداوة الشخصية أمراً ثابتاً بالنسبة للكنيسة، وكانت هذه هي المناسبة الخامسة في اتخاذ موقف عدائي من رئيس الأساقفة، وأظهرت المناسبة السادسة نفسها عندما منح رئيس الأساقفة كنيسة آينفورد Eynsford الشاغرة لواحد اسمه لورانس، لكن وليم صاحب القرية، ادعى الولاية على الكنيسة، وطرد لورانس، الأمر الذي نال من أجله الحرمان الكنسي من قبل رئيس الأساقفة، وكان هذا قد حدث من دون استشارة الملك، الذي أبدى انزعاجه الكبير تجاه الاجراءات، والذي ادعى أن من صلاحياته الملكية وجوب عدم تعريض أي اقطاعي رئيسي لديه، أو واحداً من عماله، للحرمان الكنسي، من دون الحصول على إذنه، وذلك

خشية امكانية اتصاله بواحد محروم كنسيا من دون أن يعرف، سواء أكان إيرلاً أو باروناً، والسماح له بقبلة، أو بالحضور إلى مجلسه للاجتماع به، وظهرت حالة الغضب السابعة للملك، بعد إرساله سفراء إلى روما، للحصول على تثبيت لعادات المملكة، ولدى عودة السفراء، لم يستطيعوا تهدئة الملك وإزالة غضبه سواء نحو رئيس الأساقفة، أو نحو عدة شخصيات أخرى.

كيف عقد البابا الاسكندر مجمعاً في تور

وعقد في العام نفسه البابا الاسكندر مجمعاً في تور، في كنيسة القديس مارتن، وكان ذلك في الحادي والعشرين من أيار، وحضر هذا المجمع - بناء على إذن من الملك - عدداً كبيراً من الأساقفة الانكليز، ورجال الدين، كما كان هناك رئيس الأساقفة توماس مع أساقفته المساعدين، وقد جلس على يمين البابا، في حين جلس روجر، رئيس أساقفة يورك مع أسقف درم على يساره.

وقدم في العام نفسه مالكوم ملك الاسكوتلنديين، وريس Rees أمير ديمشيا Demetia ، أي جنوب ويلز، مع ملوك آخرين، وأمراء كامبريا Cambria، الولاء للملك هنري، وإلى ابنه الأمير هنري، وكان ذلك في اليوم الأول من حزيران، في وود ستوك Wood stock، علاوة على ذلك جرى استدعاء روجر إيرل أوف كلير Clare، لتقديم الولاء إلى رئيس الأساقفة توماس في وستمنستر من أجل قلعه قلعة أوف تونبريدج Tunbridge وتوابعها، لكن بناء على تحريض من الملك رفض، قائلاً بأن جميع موارد اقطاع تلك القلعة ينفق على الخدمات العلمانية للملك، وهي بذلك بيد الملك، وليست بيد رئيس الأساقفة، ولقد كان هذا السبب الثامن للعداوة بين الملك وبين رئيس أساقفة كانتربري.

كيف تم الاعتراف بعبادات انكلترا في كليرندون

عام ١١٦٤م، فيه جرى اجتماع بحضور الملك هنري، في كليرندون Clarendon ، في الخامس والعشرين من كانون الثاني، وذلك برئاسة جون أسقف أكسفورد، بناء على طلب من الملك، وكان بين الحضور أيضاً رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورعاة الدير، ورؤساء الرهبان، والإيرلات، والبارونات ونبلاء المملكة، وفيه جرى الاعتراف— أو البحث— ببعض العادات وحریات التصرف العائدة لاجراءات الملك، التي هي اجراءات قضائية لها علاقة بالملك هنري وبجده وبآخرين، وهي اجراءات قضائية ينبغي مراعاتها والتمسك بها من قبل الجميع في المملكة، وذلك فيما يتعلق بالخلافات وعدم الوفاق الذي غالباً مايتفجر بين رجال الدين والقضاة التابعين لمولانا الملك، ولنبلاء المملكة، ومن هذه العادات جرى الاعتراف آنذاك بقسط منها هو الموجود في الستة عشر بنداً المقبلة فيما يلي:

١— بالنسبة للأوقاف والهدايا إلى الكنائس؛ إذا نشب أي خلاف بين العلمانيين، أو بين رجال الدين والعلمانيين، أو بين رجال الدين، ينبغي محاولة حسم ذلك في محكمة بلاط مولانا الملك.

٢— لايجوز منح الكنائس الموجودة في إقطاعية الملك، بشكل أبدي من دون موافقته وإجازته.

٣— سوف يجري استدعاء أي واحد من رجال الدين المتهمين' بأية جريمة من قبل القضاء الملكي إلى محكمة البلاط الملكي، للإجابة على أي سؤال سوف تقرر محكمة البلاط الملكي وجوب طرحه عليه، وكذلك إلى المحكمة اللاهوتية للإجابة على أية سؤال يقررون وجوب طرحه عليه، هذا ولسوف يرسل القضاء الملكي إلى محكمة الكنيسة المقدسة ليرى كيف ستتم معالجة القضية، وإذا ما اعترف رجل الدين أو